جمعية مسجد القائد ابراهيم الخيرية
بمحطة الرمل بالاسكندرية

المختارات التفسيرية للآيات القرآنية

تفسير سورة النساء

بقلم
الحاج / عبد الرحمن محمود
رئيس الجمعية

إهـــــــداء2005

أ/ محمد علي يوسف

جمهورية مصر العربية

جمعية مسجد القائد ابراهيم الخيرية
بمحطة الرمل بالاسكندرية

المختارات التفسيرية للآيات القرآنية

تفسير سورة النساء

بقلم
الحاج / عبد الرحمن محمود
رئيس الجمعية

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

صدق الله العظيم .

المختارات التفسيرية للآيات القرآنية

مقدمة

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وأشهد ألا اله الا الله يمن على من يشاء من عباده وأهل تقواه .

وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ومصطفاه .

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه .

أما بعد

فهذه هديتى الى اخوانى وأبنائى ، الذين وفقهم الله ولبوا ندائى، وحضروا أمامى لحفظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره ـ واستجابة لرغبتهم فى تدوين ما أقول من تفسير لكلام الله ، بدأت بعون الله وتوفيقه بتدوين (مختاراتى التفسيرية للآيات القرآنية) فى صورة مبسطة ، وطريقة سهلة ميسرة ، واضعا نصب عينى أن يفهمها الكبير والصغير ، وأن ينتفع بها كل مريد ومستنير ، راجيا الله العلى الكبير ، أن يتقبلها من عبده الفقير ، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم ، انه على كل شىء قدير .

بسم اللــه الرحمن الرحيم

« تفسير ســورة النساء »

(أعوذ باللــه من الشيطان الرجيم)

يقــول اللـــــه سبحانه وتعــالى فـى ســورة النحـل (فـاذا قـرأت القرآن فاســتعذ بالله من الشيطان الرجيم) -.فالمستحب أن يبدأ الانسان عند تلاوة القرآن الكريم بقوله (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) - ويكون ذلك سرا فى الصلاة ، أو القراءة على انفراد ، وجهرا فى مقام التعليم أو فى محافل الافراد .

والمعنى : أنى ألتجىء الى اللـــه ، وأستجير بجنابه جــل علاه ، من الشيطان الرجيم أن يضرنى فى دينى أو دنياى ، أو يصدنى عن فعل ما أمرت به ، أو يحثنى على فعل ما نهيت عنه .

« بسم الله الرحمن الرحيم »

المعنـــى : باسم الالوهية يقوم الوجــود ، واليه يركن كل موجـــــود .

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحــدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا » (١) .

المعنـــى : هذا النداء الكريم الذى بدأت به هذه السورة الى الناس جميعا من كل جنس ومن كل قوم ، يدعوهم الى تقوى الله الواحد ، الذى خلقهم من نفس واحدة ، بقدرته وحكمته ورحمته، وخلق من هذه النفس زوجا لها ، مقابلا لها ، ومكملا لوجودها -

ومنهما نشر فى الوجود رجالا كثيرا ونساءا فكانوا هذه الامـم ، وتلك الشعوب ، التى تنتهى جميعا الى هـذه النفس الواحـدة ، بقدرة القادر العظيم ، وصفة العليم الحكيم ·

وتقوى الله ، لما سئل عنها سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه وأرضاه قال : هى الخـوف من الجليل - والعمـل بالتنزيل - والقناعة بالقليل - والاستعداد ليوم الرحيل ·

ثم كرر نداءه جل علاه لخلقه بعد أن أصبحـوا يعقلون ، ويفهمون ، ويدركون وطالبهم بتقواه - وخشيته - وتلبية ندائه وطاعته - لانهم يستعينون به في كل ما يحتاجون ، ويسأل باسمه بعضهم بعضا فيما يتبادلون حيث يقول بعضهم لبعض أسألك بالله وأنشدك بالله - وطالبهم أن يتقوا الارحام التى بثتهم فى الارض جميعا فلا يقطعوها ، ولكن يبروهـا ويصلوهـا ، وفى الحديث القدسى يقول الله عز وجل (أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته) ·

فتقوى إلارحام من تقوى الله ، فكما أن لله حقوقا ينبغى رعايتها والحرص عليها ، فكذلك الارحام - وهم الاقارب ومنهم الابوان - لهم حقوق يجب رعايتها ، والحرص عليها ، اذ كان لهما شـأن فى تربية الانسان ورعايته - والله مراقب لجميع أحوالكم وأعمالكم ، ودائم الرقابة على أنفسكم ، و لايخفى عليه خافية من أموركم ، وسيجازيكم على صنيعكم وفى الحديث الصحيح (أعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك) ·

« وءاتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا » (٢) ·

المعنـى : أعطوا اليتامـى أموالهـم التـى تحت أيديكم وملكوهم كل ما يستحقون من مال — متى أصبحوا راشدين قادرين على التصرف فيها ، ولا تعطوهم الردىء فى مقابل الجيد — كأن تأخذوا أرضهم الجيدة وتعوضوهم عنها أرضا رديئة ، أو ماشيتهم، أو أى نوع من أنواع المـال فيه الجيد وفيه الردىء — ولا تأخذوا أموالهم وتضيفوها الى أموالكم ، فتأكلوها أو تأكلوا بعضها بضمها الى أموالكم ان ذلك كان اثما كبيرا وذنبا عظيما ٠

« وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحـدة أو ما ملكت أيمانكم وذلك أدنى ألا تعولوا » (٣) ٠

المعنـى : لمـا نزلت الآية السابقة ، تحرج البعض من ولاية اليتيم ، وشعروا بالخوف من ظلم اليتامى ، لانـه ذنب عظيم كما ذكرت الآية — فقال الله لهم فى هذه الآية — ان كنتم تخافون ألا تعدلوا فى نكاح اليتيمات اللواتـى تحت وصايتكم ، كـأن يكون الدافع لكم على الزواج بهن هو الطمع في مالهن ، لا الحب والمـودة والرغبـة فى معاشرتهن ، فاطلبوا الزواج فى سواهن من النساء ، تحرجا من تبعة ظلمهن ، فتزوجوا من غيرهن مثنى وثلاث ورباع — وخافوا أيضا ألا تعدلوا بينهن كما تخافون ذلك فى اليتامى — وان رأيتم أن العدل بينهن غير متيسر فتكفيكم واحدة — وهـذا هو الدواء الناجح الذى أشار اليه الاسلام ، لسلامة الانسان فى دينه فلا يظلم ، وسلامته فى نفسه فـلا يقع فى مهـاب العواصف من الشقاق والخلاف — وفى قوله تعالى (أو ما ملكت ايمانكم) اشارة الى دواء آخر يتداوى به من يرغب فى التزوج بأكثر من زوجة —

فهناك (الاماء) وهن ما ملك المـرء من الجوارى ، فله أن يتمتع بما شاء منهن ـ والحكمة من الاقتصار على زوجـة واحـدة ، أو التسرى بالاماء ـ كما قال تعالى (ذلك أدنى ألا تعدلوا) أى ذلك أقرب الى عدم الوقوع فى الظلم والجور ـ وأقرب الى عدم الميـل الى الحق ـ وأقرب ألا تكثر عيالكم فتعجزوا عن الانفاق عليهم ٠

« وءاتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شىء منـه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » (٤) ٠

المعنـى : الصدقة بضم الدال معناها المهر ـ والصدقة بفتح الدال معناها التصدق يقول اللـه تعالى أعطـوا النساء مهورهن فريضة وعطية خالصة عن طيب نفس ـ وليس لكم حق فى شىء من هذه المهور الا اذ طابت نفوسهن بالنـزول عن شـىء من المهـر فوهبته لكم فكلوه هنيئا مريئـا ـ أى خـذوه وانتفعوا به طيبا محمود العاقبـة ٠

« ولا تؤتـوا السفهاء أموالكم التى جـعل الله لكـم قيامـا وأرزقوهم فيها وأكسوهم وقولوا قولا معروفا » (٥) ٠

المعنـى : ينهى اللـه سبحانه وتعـالى عن تمكـين السفهاء المبذرين من الرجال والنساء والصبيان من التصرف فى الاموال التى جعلها اللـه للناس قياما ـ فهى قوام الحياة ، وبهـا تقـوم معايشهم من التجارات وغيرها ، وبها ينتشر عمرانها ـ وهى مبعث سلامة وقوة مجتمعها ـ فاذا استلمها هؤلاء السفهاء أضاعوها فى غير وجهها ـ فأمر اللـه سبحانه وتعالى أن توضع هذه الاموال فى أيد أمينـة تحافظ عليها وترعاها ـ وتعطى من ثمراتها النصيب

الذى يحتاج اليه هؤلاء السفهاء من طعام ، وكسوة ، ورعاية طبية وغير ذلك من المتطلبات الدنيوية ـ كما أمر سبحانه أن يعاملوهم بالحسنى ، ويطيبوا أنفسهم بكلام لـين ، ويقولوا لهم قولا معروفا يرضيهم ، ولا يؤذيهم ، ولا يذلهم •

« وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغـوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولا تاكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا » (٦) •

المعنـى: واختبروا عقـول اليتامـى ، وتبينوا معرفتهـم بدينهم ، وتصرفهم فى أحوالهم قبل بلوغهم رشـدهم ـ حتـى اذا بلغوا النكاح ـ أى صاروا أهلا له بالاحتلام أو السن ، وأصبحوا صالحين للزواج ، وتبينتم منهم رشدا وصلاحا فى دينهم ومالهم فادفعوا اليهم أموالهم ـ ولا تأكلوها مسرفين مستعجلين الانتفاع بهـا قبل أن يبلغوا وترد اليهم ـ ومن كان من الاوصياء عليهم غنيـا فليعف عن أخذ أجر على وصايته ، ويؤدى هذا العمل حسبه لوجه اللـه ، ليؤجر عليه ، وألا يضيع هـذا الاجر نظـير مال هو فى غنى عنه ان كان اللـه قد آتاه من فضله ما يغنيه عن غيره ومن كان فقيرا فليأكل منه بالمعروف بقدر أجرة عمله ، ويكتف بقدر ما يكفيه عرفا ـ أى بالتى هى أحسن كما فـى آيـة أخرى « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشـده » ـ فاذا سلمتموهم أموالهم، بعد بلوغهم رشدهم فأشهدوا عليهم لئلا يقع من بعضهم جحود وانكار لمـا قبضه أو تسلمه ـ واللـه من ورائكم هو الشاهد والمراقب والمحاسب وكفى به شاهدا ومراقبا وحسيبا •

« للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو أكثر نصيبا مفروضا » (٧) .

« واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا » (٨) .

المعنى : كانوا فى الجاهلية يجعلون المال للرجال الكبار ، ولا يورثون النساء والاطفال شيئا ـ فأنزل الله للرجال نصيب من الاموال التى يتركها الوالدان والاقربون ، وللنساء أيضا نصيب مما ترك هؤلاء دون منع أو بخس ـ أى الجميع فيه سواء فى حكم الله تعالى ، يستوون فى أصل الوراثة ـ وهذه الانصبة مفروضة ومقدرةقلت الاموال أو كثرت ـ واذا حضر قسمة التركة بعض الاقارب من اليتامى والمساكين الذين لا يرثون ، لان من هم أقرب منهم سبقوهم فحجبوهم ، فأكرموهم باعطائهم شيئا من هذه التركة ـ تطيبا لخاطرهم ، ونزعا للحسد من قلوبهم ، واحتفاظا بالروابط العائلية ، والمودات القلبية بينهم ـ وفى قوله تعالى : « وقولوا لهم قولا معروفا » دعوة الى الاحسان بالقول ، بعد الاحسان بالعمل ويحسن أن يشفع هذا العطاء بكلام لين لهم ، ويقبول يحسن وقعه عندهم .

« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » (٩) .

« ان الذين ياكلون أموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » (١٠) .

المعنى : وليخاف الذين سيتركون بعدهم ذرية ضعافا ان يصيبهم من الظلم مثل ما أصابوا اليتامى ، فليخافوا على ذريتهم من هذا المصير ، وليتقوا الله فى اليتامى وليصونوهم ، ويصونوا أموالهم ، وليعاملوهم كما يرجون أن يعامل أبناؤهم من بعدهم — وليقولوا لهم قولا سديدا يحمل النصح ، والتوجيه ، والتسديد — وليجتنبوا أموالهم ، فلا يأخذوها بغير حق ، ولا يأكلوها ظلما — فمال اليتيم نار تحرق ، فمن أكل منه احترق به فى الدنيا ، وصلى به عذاب جهنم فى الآخرة ٠

« يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثنين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فان كان له أخوه فلأمه السدس بعد وصية يوصى بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما » (١١) ٠

المعنى : يأمركم الله فى شأن توريث أولادكم وأبويكم — اذا متم — بما يحقق العدل والاصلاح ٠ وذلك بأن يكون للذكر مثل نصيب الانثيين اذا اجتمعتا معه ، فله نصف المال ولهما النصف ، فان كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان ، وان انفرد حاز المال — فان كان جميع الاولاد اناثا يزيد عددهن عن اثنتين فلهن الثلثان من التركة — ويفهم من مضمون الآية ان الثنتين نصيبهما كنصيب الاكثر من اثنتين — وان ترك بنتا واحدة فلها نصف ما ترك — وان ترك أبا وأما فلكل منهما

السدس ان كان له ولد معهما ، ولد ذكر أو أنثى ـ فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فقط فلأمه الثلث والباقى للأب ـ فان كان له اخوة فلامه السدس والباقى للاب ولا شىء للاخوة ـ تعطى هذه الانصبة لمستحقيها بعد أداء ما يكون عليه من دين ، وتنفيذ ما وصى به فى حدود ما أجازه الشرع ـ هذا فرض من الله ، حكم به وقضاه ، وأنتم لا تدرون الاقرب لكم نفعا من الاباء والابناء ، والخير فيما أمر الله فهو العليم بمصالحكم ، الحكيم فيما فرض لكم .

« ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم » (١٢) .

المعنى : للزوج نصف ما تركت الزوجة ان لم يكن لها ولد منه أو من غيره ـ فان كان لها ولد فلزوجها الربع من بعد وصية توصى بها أو دين ـ وللزوجة ـ واحدة أو متعددة ـ الربع مما ترك الزوج ان لم يكن له منها أو من غيرها ولد ، فان كان له منهن أو من غيرهن فللزوجة أو الزوجات الثمن من بعد وصية يوصى بها أو دين وولد الابن كالولد فيما تقدم ، وان كان الميت رجلا أو امرأة (ويورث كلالة ـ أى لا ولد له ولا والد) وترك أخا لام فلكل واحد منهما السدس ، فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى

الثلث – يستوى فى ذلك ذكرهم وأنثاهم بمقتضى التركة من بعد أداء الديون التى عليه وتنفيذ الوصية التى لا تضر الورثة – وهى التى لا تتجاوز ثلث الباقى بعد الدين – فالزموا أيها المؤمنون ما وصاكم الله به ، فانه عليم بمن عدل منكم أو جار ، حليم لا يعجل لهم العقاب ، ولكن يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ٠

« تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم » (١٣) ٠

« ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » (١٤) ٠

المعنى : يشير الله سبحانه وتعالى الى كل ما بين من أحكام، وما شرع من حدود ، منطبقة على عدله الالآهى – فى صيانة أموال اليتامى ، وفى التعفف عن زواج اليتيمات ، تجنبا للظلم المحتمل وقوعه عليهن ، وفى المواريث وأحكامها ، وما لكل وارث من نصيب – فتلك حدود الله – وهذه أحكامه – أوجب على عباده أن يلتزموها ، وأن يقفوا عندها لا يتجاوزونها – فمن يطع الله ورسوله فيما حكم به كان جزاؤه الخلود فى الجنة التى تجرى من تحتها الانهار ، والتى فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر – وذلك هو الفوز العظيم ، والذى لا يقاس اليه شىء مما يعده أهل الدنيا فوزا – ومن يعصى الله ورسوله ، ويتعد حدود ما شرعه ، مستبيحا ذلك التعدى بعدم خشية الله ، وعدم خوفه من عقابه ، فلا يمتثل أوامره ، ولا يجتنب نواهيه ، ولا يعمل بما يدعو الله ورسوله اليه ، يجزه نارا مخلدا فى عذابها

وهوانها ، يعذب بها بدنه ، الى جانب عذاب مهين تتألم به روحه ، وذلك هو الخزى المبين ٠

« واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا » (١٥) ٠

« والذان ياتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما » (١٦) ٠

المعنى : واضح أن الآية الاولى فى شأن النساء ، كما أن الآية الثانية فى شان الرجال — فلنسمع قول العلماء فى تفسير الفاحشة فى هاتين الآيتين — يقول العالم الجليل الامام أبو مسلم الاصفهانى ، بعد شرح مستفيض خلاصته — ان الامام قسم الفاحشة فى هذه الآية الى ثلاثة أقسام — القسم الاول هو (السحاق) والقسم الثانى هو (اللواط) والقسم الثالث هو (الزنا) — ويلزمنا الآن أن نعرف ما هو السحاق ؟ وما هو اللواط ؟ وما هو الزنا ؟ وما عقوبة كل جريمة من هذه الجرائم ؟ — أما معنى السحاق — فهو مخالطة المرأة للمرأة طلبا لقضاء الشهوة (وهذا وباء وبيل منتشر والعياذ بالله فى البلاد المتحضرة) ٠ وأما اللواط — فهو مخالطة الرجل للرجل طلبا لقضاء الشهوة (وكلنا نعلم قصة سيدنا لوط مع قومه وكيف أنهم لم ينتهوا عن هذه الجريمة حتى أهلكهم الله) وأما الزنا — فهو (مخالطة الرجل للمرأة فى الحرام طلبا لقضاء الشهوة) وهذا معروف — فعقوبة الحالة الاولى وهى (السحاق) كما قال الله تعالى : « واللاتى يأتين

الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا» ـ اذن (السحاق) الحبس حتى الموت ومعنى أن يجعل الله لهن سبيلا أن يفتح الله لها طريقـا للحياة المستقيمة بالتوبـة أو أن يرزقها الله بمن يتزوجها وينقذها من هذه الهاوية التى سقطت فيها ـ وأما عقوبة (اللواط) فكما قال تعالى : « واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما » والايذاء هنا يكون كما قال ابن عباس رضى الله عنهما أن الايذاء يكون بالقول وبضرب النعال أمام الناس وأظن ليس هناك أشق على النفس من أن يضرب الانسان بالنعال على رءوس الاشهاد ـ وأما عقوبة الزنا فكما قال تعالى فى سور النو : « الزانية والزانى فاجلدوا كل منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخـر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » ـ أى أن عقوبة الزنا الجلد للبكر ، والرجم للثيب ـ وكما لاحظنا ـ الذنب كبير ، والعقاب كبير ، ولكن الله أكبر يفتح باب رحمته ، ويقبل توبة عباده ، ومن يغفر الذنوب الا هو ؟ فسبحانه وسع كل شىء رحمة وعلما ـ يجـرح ويأسـو ، ويحكم ويعفو ـ آمنت به ، لا اله غيره ، ولا رب سواه ٠

« انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما »(١٧) ٠

« وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذ حضر أحدهم الموت قال انى تبت الان ولا الذين يموتون وهـم كفـار أولئـك اعتدنا لهم عذابا أليما » (١٨) ٠

المعنـى : حق كتبه الله سـبحانه على نفسه ، فضلا منـه ورحمة بعباده ـ أن التوبة مضمونة عنـده للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ٠٠٠٠٠ والجهالـة هنـا معناها ـ الضلالة عن الهدى طال أمرها أو قصر ، ما دامت لا تستمر حتى تبلغ الروح الحلقوم ـ وتلك الجهالة بسبب ما يركب الانسان من حمق ، وطيش وعدم تبصر ، وهو فى مواجهة المنكر ـ فاذا رجع المذنب الى نفسه باللائمة ، والندم والتوبة بعد الحوبة ، كانت له الى الله رجعة من قريب ـ وهذا ما حمده الله سبحانه لاصحاب تلك النفوس التى يقلقها الاثم ، ويزعجها المنكر ، اذا هى فعلت منكرا ، أو واقعت ذنبا ـ فكان من حمده سبحانه لها ، وتكريمه اياها ، أن أقسم بها فقال سبحانه : « لا أقسم بيـوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة » فهؤلاء يقبل الله توبتهـم ، وهو عليم لا يخفى عليه صدق التوبة ، حكيم لا يخطى فى تقدير ٠ وليس قبول التوبة للذين يرتكبون الذنوب ، يبيتون معها ، ويصبحون عليها ، يستخفون بمحارم الله ، وهكذا يقطعون العمـر ، فـى صحبـة الفواحش ظاهرها وباطنها ـ حتى اذا بلغـوا آخـر الشوط من الحياة ، وأطل عليهم الموت ، فزعوا وكربوا ، وقالوا تبنا الى الله ، ورجعنا الى الله ، وندمنا على ما فعلنا ـ انها توبة لم تجىء عن قلب مطمئن ، وعقل مدرك ، يحاسب ويراجع ، ويأخذ ويدع ، ولكنها توبة اليائس الذى لا يجد أمامه طريقا آخر سوى طريق المكره على التوبة ساعة الموت ، فلا وجه أمامه للنجاة غير هذا الوجه ـ وقد فعلها فرعون من قبل ، حين أدركه الغرق قال « آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين ٠ الان وقد عصيت وكنت من المفسدين » فرده الله سبحانه ولم يقبل توبته ولا من على شاكلته ، وقد أعد الله سبحانه لهؤلاء جميعا عذابا مؤلما مقيما فى دار الجزاء ٠

« يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » (١٩) ٠

« وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا » (٢٠) ٠

« وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا » (٢١) ٠

المعنى: كان من عادات بعضهم فى الجاهلية اذا مات الرجل منهم فأولياؤه أحق بامرأته ، ان شاء بعضهم تزوجها ، وان شاءوا زوجوها ، وان شاءوا لم يزوجوها ، فهم أحق بها ــ وكان بعضهم اذا توفى عن المرأة زوجها ، وجاء حميمه فألقى عليها ثوبه منعها من الناس ، فان كانت جميلة تزوجها ، وان كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها ، أو تفتدى منه بمال ــ وكان بعضهم يطلق المرأة ويشترط عليها ألا تنكح الا من أراد حتى تفتدى نفسها منه بما أعطاها كله أو بعضه ــ وكان بعضهم يحبس اليتيمة التى عنده عن الزواج ، رجاء أن تموت امرأته فيتزوجها ، أو يزوجها من ابنه الصغير طمعا فى جمالها أو مالها ــ وهذه كلها عادات لا تتفق مع النظرة الانسانية الكريمة ، ولا مع المستوى الكريم اللائق بكرامة الآدميين الذين كرمهم الله وفضلهم على كثير من العالمين ٠

فجاء الاسلام وحرم كل هذا ــ وقال تعالى : « يا أيها الذين

آمنوا لا يجوز لكم أن تجعلوا النساء كالمتـاع ، فترثوهن زوجات لكم من غير صداق ، وهن كارهات ، ولا يجوز لكم أن تظلموهن بالتضييق عليهن لينزلن لكم عن ما آتيتموهن من مهور ، أو أموال الا أن يرتكبن اثما بينـا ، بنشوز أو سوء خلق أو فجور — وعليكم أيهـا المؤمنون أن تحسنوا عشرة نسائكم قـولا وعمـلا ، فـان كرهتموهن لعيب فى الخلق أو الخلق أو غيرهما ، فاصبروا ولا تتعجلوا فراقهن ، فعسى أن يجعل الله فى المكروه لكم خيرا كثيرا — فما أكثر أن تجيء الامور على غير حسابنا وتقديرنا — فما نحسبه خيرا ، قد يجيء من ورائه الشر ، وما نراه مكروها، قد يجيء بما نحب ونرضى ، وعلم الامور كلها عند علام الغيوب — وان أردتم أن تسبدلوا زوجة مكان أخرى فى حالة استحالة الحياة ،ولم يكن بد من الفرقة والطلاق ، فليكن كما أمر الله (تسريح باحسان) فلا يجوز للرجل أن يسترد مما أعطاها من مهر شيئا ، ولو كان قنطارا من الذهب ، فليس له وجه من حق لاسـترداده ، فهـذا عدوان عليها وسلب لحق وقع فى يدهـا ، ولا شـك أنه بهتـان واضح ، واثم مبين — وكيف يسوغ لكم أن تستردوا ما أعطيتـم من مهر — وقد أفضى بعضكم الى بعض — أى امتزج بعضكم ببعض ، ولا يقف هذا الامتزاج عند حدود الجسد بذلك الجماع ، ولكن يشمل المشاعر والعواطف ، والتصورات والتجاوب فى كل صورة من صور التجاوب ، وليس هذا فقط بل يضاف اليه عاملا آخر من نوع آخر « وأخذن منكم ميثاقا غليظا » — أى وأخـذن منكم عقدا قويا موثقا أحل الله به العشرة الزوجيـة وأمـر بـه من امساكهن بمعروف أو تسريحهن باحسان .

« ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف إنه فاحشة ومقتا وساء سبيلا » (٢٢) .

المعنى : حرم الله تعالى زوجات الآباء تكرمة لهم ، واعظاما واحتراما لحقوقهم - وكان عند العرب فى الجاهلية هذه العادة القبيحة - وهى اذا مات اب الرجل وكان متزوجا غير أمه ، يعرض عليها الابن زواجها منه ، أو يرث زواج أبيه من غير عقد جديد يعقده عليها - فقال الله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف » أى لا تتزوجوا - أيها الابناء ما تزوج آباؤكم من النساء ،أنه كان أمرا فاحش القبح ، سببا للمقت من الله وهو أشد البغض ؛ وهو أسوأ سبيل ومقصد - والله سبحانه وتعالى فضلا منه وكرما يعفو عما قد سلف منكم فى زمن جاهليتكم .

« حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وأمهاتكم اللاتى أرضعتكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما » (٢٣) .

المعنى : بمناسبة تحريم زوجات الآباء ، يحدد الله سائر أنواع المحرمات من النساء فى هذه الآية الكريمة على الوجه الآتى :

١ — (حرمت عليكم أمهاتكم) أى أم الرجل وأصولها وتشمل الجدات من قبل الاب والام ٠

٢ — (وبناتكم) أى بنت الرجل ، وفروعها وتشمل بنات الاولاد وان سفلن ٠

٣ — (وأخواتكم) أى الاخت ، سـواء كانت شقيقة ، أم لاب ، أم لأم ٠

٤ — (وعماتكم) أى أخوات آبائكم وأجدادكم ٠

٥ — (وخالاتكم) أى أخوات أمهاتكم وجداتكم ٠

٦ — (وبنات الاخ) أى بنات أخيه ، سواء كان شقيقا ، أم لاب ، أم لام وكذلك فروعهن ٠

٧ — (وبنات الاخت) أى بنات أخته ، سواء كانت أختا شقيقة ، أم لاب ، أم لام وكذلك فروعهن ٠

٨ — (وأمهاتكم اللآتى أرضعنكم) — المـرأة التى أرضعته فهى بالنسبة له أم — لها حرمة أمه التى ولدته ، وكذلك أصولها وفروعها ، كما لاصول أمه وفروعها ٠

٩ — (وأخواتكم من الرضاعة) — فكل من أرضعتهم هم اخوة ، ولو لم تكن قد ولدتهم ويحرم عليهم التزوج من بعض حرمة الاخوة من الميلاد ، كما جاء فى الحديث الشريف (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) ٠

١٠— (وأمهات نسائكم) — أى أم الزوجة — سـواء كان معقودا

على ابنتها ولم يدخل بها أم مدخولا بها ـ فلها حينئذ حرمة الام على من تزوج ابنتها ، تحرم عليه حرمة مؤبدة •

١١ـ (وربائبكم اللآتى فى حجوركم من نسائكم اللآتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) ـ والربيبة هى الصغيرة المرباه فى بيت الرجل المتزوج بأمها ـ والمراد هنا مطلق بنات الزوجة فانهن يحرمن على زوج الام ، سواء تربين فى بيت الزوج أم نشأن بعيدا عنه ـ وذلك بشرط أن تكون الام مدخولا بها ، أما العقد عليها فلا يحرم زواج بناتها ممن عقد عليها ثم طلقها ولم يدخل بها •

١٢ـ (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) ـ وهن زوجات الابناء الحقيقيين للرجل ، لا الابناء بالتبنى ـ فهؤلاء الابناء بالتبنى لا يحرم على مثل الاب زواج من تزوج بهن أبناؤه بالتبنى بعد طلاقهن وانقضاء عدتهن ـ وكانوا فى الجاهلية يلحقون الابن بالتبنى بالابن من الصلب حيث يخلط الرجل من يتبنى من أبناء الغير بأبنائه ليكسب بهم كثرة وقوة ، فلما جاء الاسلام ، وضع حدا لهذه الفوضى فى الانساب ، وفرق بين الحالين فى قوله تعالى : « وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل • أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم » (٤ ـ ٥ الاحزاب) ، وفى قوله تعالى : « فلما قضى زيد منها وطرا

زوجناكها لكـــى لا يكون على المؤمنين حـــرج فـــى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا » (٣٧ : الاحزاب) ٠

١٣ـ (وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما) ـ لا يحل للرجل أن يجمع بين الاختين فى عصمته ، وله أن يتزوج الثانية بعد أن تنقطع علاقته بالاولى بالطلاق أو الوفاة ـ وذلك صيانة للعلاقة بين الاختين أن تفسدهـــا الحياة الزوجية التى تجمعهما تحت سقف واحـــد ، ولهذا فقد الحق النبى الكريم بتحريم الجمع بين الاختين الجمع بين البنت وعمتها ، والبنت وخالتها فى قوله صلى الله عليه وسلم (لا تنكح البنت على عمتها او خالتها فانكم ان فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم) وقد عفا الله عما سلف فى الجاهلية من الجمع بين هذه المحارم ، غفور لما سلف منكم قبل النهى ، رحيم بكم بما شرع لكم ٠

« ربـــع والمحصنات »

« والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم بهمنهن فاتوهنأجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما » (٢٤) ٠

المعنـــى : فى هذه الآية الكريمة بيان لآخر المحرمـــات من النساء ، وهن المحصنات أى المتزوجات ، لانهن تحصن بالزواج ، وصرن فى عصمة الغير ـ فحرم الله نكاح المتزوجات من النساء

عامة ، حرائر وغير حرائر ، الا من سبيتم وملكتم منهن فى حرب بينكم وبين الكفار ، فان نكاحهن السابق ينفسخ بالسبى ، فيصرن حلالا لكم بعد استبراء أرحامهن - هذا ما كتبه عليكم فى تحريم ما حرم - ولكم فيما وراء ذلك التحريم ، وفيما عدا ذلك المحظور - أن تطلبوا بأموالكم نساء تتزوجون بهن - لا تقصدون الزنا أو المخادنة ، ولكن الاحصان والتعفف بالزواج - فأى نساء استمتعتم بهن بعد الزواج منهن أحل الله لكم الدخول بهن فوفوهن مهورهن التى قدرتم لهن حقا عليكم وفريضة الله فى مال الزوج للمرأة الزاما لا تسامح فيه - والاستمتاع المطلوب ايتاء الاخر عنه هنا ، هو ما يحققه الزواج للرجل من سكن نفسى ، وأنس روحى ، وقرت عين بالبنين والبنات ، الى ما يجد من اشباع لغريزته الجسدية مع العفة والتصون - ولا حرج عليكم فيما تم بينكم عن تراض من تنازل زوجة عن بعض مهرها ، أو زيادة زوج فيه ، وفى هذا وذاك تبادل لعواطف المودة والمعروف بين الزوجين - الامر الذى ينتظم به شمل الاسرة ، وتقوم عايه سعادتها - والله سبحانه وتعالى مطلع على شئون العباد ، مدبر لهم ما يصلح به أمرهم فى احكام ٠

« ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فاذا أحصن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشى العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم » (٢٥) ٠

المعنــى : ومن لم يجد منكم سعة وقدره وقصرت يــده عن التزوج بالحرائر العفائف المؤمنات ، وخشى على نفسه الوقوع فى المعصية ، وغشيان المنكر ــ فله أن يتجاوزهن الى ما يستطيع من المملوكات المؤمنات اللاتى يملكهن المؤمنين ــ والله أعلم بحقيقة ايمانكم واخلاصكم ــ ولا تستنكفوا من نكاحهن ، فأنتم ومن سواء فى الدين ، فتزوجوهــن باذن أهلهن (أى أربابهن ومواليهن) ، وأدوا اليهن مهورهن التى تفرضونها لهن عن طيب نفس منكم ، وحسب المعهود بينكم من حسن التعامل ، وتوفيه الحق ولا تبخسوا منــه شيئا اســتهانة بهن لكونهن امــاء مملوكات ــ واختارهن عفيفات ــ فلا تختاروا زانية معلنة (وهى التى لا تمنع من أرادها بالفاحشة) ولا ذات الخليــل (أى التى اتخذت لهــا أصحابا فى السر) ــ فان أتين الزنا بعد زواجهن فعقوبتهن نصف عقوبــة الحرة ــ وأباح اللــه نكاح المملوكات ، عند عــدم القدرة لنكاح الحرائر ، ولمن خاف على نفسـه ذلك كله ، فله حينئذ أن يتزوج بالمملوكة ــ ومن يجاهد نفسه فى الكف عن الزنــا ، ويصبر عن التزوج بالمملوكات ، فهو خــير له ، حتى لا يكون أولاده أرقــاء لسيدها ــ والله سبحانه وتعالى كثير المغفرة عظيم الرحمة .

« يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم » (٢٦) .

« والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات يميلوا ميلا عظيما » (٢٧) .

« يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا » (٢٨) .

المعنــى : يخبر الله تعالى أنه يريد أن يوضح لكم أصلح السبل ، وأن يبين للامة المسلمة طريقها ، وهو طريق الامم المؤمنة قبلها ، وأن يهدى المسلمين فيمهد لهم سبيل التوبة عما أخطأوا فيه أو يخطئون ، والله مطلع على شئونكم ، مدبر فى أحكامه لمـا يصلح أمركم ، والله يريد أن يرجع بكم الى طاعته ، ويريد الذين يتبعون ملاذهم وشهواتهم ورغباتهم الفاجـرة (من أتبـاع الشياطين من الكفار والعصاة والزناه) أن تبعدوا عن طريق الحق بعدا شديدا ، وتميلوا عن الحق الى الباطل ميلا عظيما ويريد الله أن يخفف عنكم ، وييسر عليكم ، بمنحكم شريعة سمحة ، لا تعسـير فيهـا ، مناسبة لطبيعة الانسان الذى خلقه الله ضعيفا ، أمـام النساء ، وأمام غرائزه وميوله ، فانه لا يصبر عن الشهوات ، ولا يتحمل مشاق الطاعات ، فيناسبه من التكاليف ما فيه يسر وسعة ـ وذلك ما يكلف اللــه عباده فضلا وتيسيرا .

« يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم أن الله كان بكم رحيمـا » (٢٩) .

« ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على اللــه يسـيرا » (٣٠) .

« أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنــه نكفـر عنكـم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما » (٣١) .

المعنــى : بعد ما بين الله سبحانه حرمة الاعراض ، وأوجه استحلالها ، وأوامره فيها ـ عطف على حرمـة الاموال ، وحرمة

الدماء — وهى الحرمات الثلاثة التى يحفل بها الاسلام ، ليأمن الناس فى مجتمعهم على أعراضهم ، وأموالهم ، ودمائهم — فينهى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين ان يأكلوا أموال بعضهم بالباطل — أى بأنواع المكاسب التى هى غير شرعية — كالتعامل بالربا والقمار ، والسرقة والاغتصاب ، والغش والخداع ، والاحتكار ، وما يجرى مجرى ذلك من صنوف الحيل والمكر والدهاء — وأباح لهم التجارة بالتراضى بينهم ، فتلك مسموح بها ، اذا كانت صادرة عن تراض منهم وطيب نفس فلهم أن يأكلوها — ثم ينهى سبحانه وتعالى عن قتل النفس (ولا تقتلوا أنفسكم). ويقع قتل النفس على صور كثيرة — فقد يقتل الانسان نفسه بنفسه — وذلك بأن يعرضها للتهلكة عن عمد ، أو أن يصرفها عن الايمان بالكفر ، أو أن يعتدى على حرمات الغير ويستبيح أموالهم ، أو يستبيح دماءهم ، وقد توعد الله سبحانه من يرتكب هذا الفعل المنكر بعذاب أليم فما جزاء هذا العدوان ، وذلك الظلم إلا هذا العقاب المهين ، فمن لا يرحم نفسه ، ولا يرحم الناس ، لا تناله رحمة الله الذى أطمعنا فى رحمته (ان الله كان بكم رحيما) — ويختم الله سبحانه وتعالى آيات التحريم كلها بذلك الترغيب الجامع فى اجتناب ما حرم من الاعراض والاموال والدماء وكلها موبقات وكبائر — وقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (والذى نفسى بيده ؛ ما من عبد يصلى الصلوات الخمس ويصوم رمضان ، ويخرج الزكاة ، ويجتنب الكبائر السبع الا فتحت له أبواب الجنة ، ثم قيل له أدخل بسلام » ولما سئل

صلوات الله عليه عن الكبائر السبع ، أو الموبقات السبع قال : الشرك بالله ، وقتل النفس التى حرم اللـه قتلهـا الا بالحق ، والسحر وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يـوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ـ ووعد الله عباده اذا اجتنبوا كبائر ما نهوا عنـه ، فسوف يغفر لهم منـا دونهـا من السيئات ، ويتلقاهم فى الآخرة بالتكريم والرحمات ، وفى هذا رحمة واسعة من رحمات الله بالناس ، وفضل كبير من أفضاله على عباده ـ وهذا مصداقا لقوله تعالى : « الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك راسع المغفرة » (٣٢ : النجم) فما أوسع رحمة الله ، وما أعظم فضله ٠

« ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما أكتسبوا وللنساء نصيب مما أكتسبن وسئلوا الله من فضله ان الله كان بكل شىء عليما » (٣٢) ٠

المعنـى : قيل فى سبب نزول هذه الآية الكريمة ـ أن بعض النساء تمنين فضل الرجال عليهن فـى الميـراث ـ وفى غنائـم الحرب ٠٠٠ وليس لهن فيها من نصيب ، لانه ليس عليهن جهاد ـ وبعض الرجال تمنوا أن يكون لهم من الاجـر الضعف على أجـر النساء كما لهم فى الميراث وخلافه ـ وكذلك بعض الرجال تمنوا مال الآخرين ، وقالوا لو أن لنا ما لهم ، والآية نهت عن تمنى عين النعمة ٠٠٠ والحديث حض على تمنى مثل النعمة ـ فلا يجـوز للنساء أن يتطلعن الى ما ميز الله به الرجال ـ ولا يجوز للرجال

أن يتطلعوا الى ما ميز الله به النساء — فان لكل فريق حظا ملائما لما طبع عليه من العمل ، وما أضيف اليه من الحقوق — فليتجه كل الى الاستزادة من فضل الله — تكريما للنفس عن التطلع ، وتنقية للضمير من الحسد ، وتبرئة للقلب من الحقد وتوجيها للفرد الى الله الذى لا تغلق خزائنه ، ولا ينفد ما عنده . والله سبحانه وتعالى عالم أتم العلم بكل شيء ، ومعطى كل نوع ما يستحقه وما يصلح له « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » (١٤ : الملك) .

« ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا » (٣٣) .

المعنى : ولكل من الرجال والنساء الذين أشار اليهم سبحانه وتعالى فى الآية السابقة بقوله : « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » لكل من هؤلاء الرجال والنساء جعلنا لهم موالى — أى ورثة — يرثونهم فيما خلفوا من مال ومتاع — (الذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم) — أى الذين تحالفتم بالايمان المؤكدة أنتم وهم على التوارث فيما بينكم — وكان ذلك فى صدر الاسلام حين آخى الرسول عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين والانصار ، قبل أن يقصر الارث على ذوى القربى — فعليكم أن توفوا لهم بنصيبهم وفاء بتلك الايمان والله سبحانه وتعالى رقيب عليكم ، حاضر معكم ، شاهد على تصرفكم .

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن وأهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا » (٣٤) .

« وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا » (٣٥) .

المعنى : لحكمة أرادها الله ، وتقدير قدره جل علاه ـ فضل بعض الناس على بعض حتى فى رسله الكرام ، حيث قال : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) .وكذلك فضل سبحانه الرجال على النساء ، وأعطى لهم حق قيادتهن ، ورعايتهن ، والقيام بشئونهن ، والقوامة عليهن ـ وذلك بسبب تفضيله لهم عليهن بالعلم ، والعقل ، والولاية ، والقوى الجسدية ، وخاصة الاحتمال، فالرجال أقوى من النساء عموما ، وأقدر على السعى فى وجوه الحياة ، فهم الذين يكدون ويكدحون لكسب المال الذى ينفقونه عليهم ، لكفالة حاجاتهن ، وحاجات أولادهن ـ وكما أن بين الرجال والنساء درجة فى التفاضل ، كذلك بين النساء والنساء درجة أو درجات ـ فليس كل النساء على سواء ، فى الخلق وحسن العشرة (فالصالحات قانتات حافظات للغيب بم حفظ الله) ـ فهذا هو الوجه الطيب والمشرق من النساء ، فالصالحات مطيعات لله ولرسوله ولازواجهن ـ كما ثبت فى الحديث الصحيح عن

الرسول صلوات الله عليه أنه قال : (اذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ، قيل لها أدخلى الجنة من أى أبواب شئت) - (حافظات للغيب) أى تحفظ زوجها فى غيبته ، فى نفسها وماله ، - وقوله (بما حفظ الله) أى المحفوظ من حفظه الله ، وهذا مصداقا لقول الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم (خير النساء امرأة اذا نظرت اليها سرتك ، واذا أمرتها أطاعتك ، واذا أمرتها أطاعتك ، واذا غبت عنها حفظتك) وهناك الوجه الآخر من النساء - مكفهر ، غائم ، يرمى بالرعد والبرق - مما يفسد حياة الرجل ، ويعكر صفو الاسرة كلها - فالزوجات اللاتى تظهر منهن بوادر العصيان ، وأعراض النشوز والمخالفة والطغيان - أمر الحكيم العليم ، الرجال أن يعالجوا هذا النشوز على مراحل ثلاث - المرحلة الاولى - اسداء النصح بالكلمة الطيبة ، والقول المؤثر - وبعضهن يتقبل هذا العلاج ، ويكون فيه شفاءهن ، واصلاح أمرهن - فاذا لم تنفع الموعظة ، ولم تؤثر الكلمة الطيبة - تأتى المرحلة الثانية - وهى الهجر فى المضاجع - أى اعتزالهن فى الفراش - وبعضهن أيضا يتقبل هذا العلاج - بعد أن يؤثر هذا الهجر ويردهن الى شىء من الحكمة والتواضع فتصلح الحياة بعد ذلك - وأما حين لا تجدى هذه الوسيلة - تأتى المرحلة الثالثة - وهى التأديب بضرب خفيف غير مبرح ولا مهين - وبعض النساء يستجبن الى هذه الوسيلة ، كما تدل الشواهد ، لان انحرافا معينا ، يجعل هذا علاجا نافعا - فان رجعن الى طاعتكم فى أى سبيل من هذه السبل الثلاث ، فلا تطلبوا

السبيل التى هى أشدمنها بغيا عليهم ، وانتقاما وعدوانا ، والله لا يحب المعتدين ، ويذكر الله الرجال بما له من سلطان ، فى علوه وكبريائه ، وأنهم اذا بسطوا أيديهم بالبغــى عليهم والانتقام ، ومجاوزة الحد بالعدوان ، كانت يد الله مبسوطة عليهم بالعقاب والانتقام ــ وهذه هى المرحلة الاخيرة التى يقطعها الزوج مع الزوجة المستعصية على العلاج ، بعد أن انتهت كل المراحل ، ولم ينصلح حال الزوجة ، وأصبح الامر مؤذنا بالفراق ــ فيأمر الله سبحانه باختيار حكمين صالحين ، أحدهما من أهله ، والآخر من أهلها ــ فانهما ان ابتغيا الخــير ، وأرادا الاصلاح ، كان لهما من الله عون وتوفيق ــ فيلتقيان باذن الله على ما يصلح أمر الزوجين، وتكون هناك فرصة للتراجع منهما أو من أحدهمــا ــ وفرصــة لاستئناف حياة طيبة قبل اللجوء الى الافتراق ، فان أبغض الحلال عند الله الطلاق ــ والله سبحانه وتعالى عليم بكل شىء ــ مطلع على كل شىء ــ خبير ببواطن العباد كظواهرهم .

ربــع « واعبــدا اللـــه »

« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربــى والجــار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا » (٣٦) .

المعنـــى : يأمر تبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له ــ فهو الخالق الرازق ــ المنعم المتفضل على خلقه فى جميع الحالات ــ فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئا ــ ثم أوصى

سبحانه بالاحسان الى الوالدين ـ وكثيرا ما يقرن الله بين عبادته والاحسان الى الوالدين ، ببرهما ، ولين الجانب لهما ـ كقولـه تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا) (٢٣ : الاسراء) وكقوله تعالى (أن أشكر لى ولوالديك) (١٤ : لقمان) وذلك لانه سبحانه وتعالى جعلهما سببا لخروج الانسان من العدم الى الوجود ـ ثم بعد الوالدين عطف سـبحانه على الاحسـان الى القرابات من الرجال والنساء ـ وبين أصحاب الحقوق الواجبة على الانسان نحوهم ٠٠ اما لصلة قرابـة تجمعهم اليه ، واما لصلة انسانية عامة تربطهم به ، تقوم على أساس أن الفرد عضو فـى الجسد الاجتماعى كله ـ (فذوو القربى) ٠٠٠ هو من الانسان وهو منهم ـ ولهم عليه أكثـر من حق ٠٠٠ حق القرابـة ، وحق الانسانية ـ كما جاء فى الحديث الشريف (الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذى الرحم صدقة وصلة) ـ ثم بعـد ذوى القربى (اليتامى) وهم الذين فقدوا من يقوم بمصالحهم ، ومن يتـولى أمرهم وينفق عليهم ـ ثم بعد اليتامى (المساكين) وهم المحاويج من ذوى الحاجات الذين لايجدوا ما يسدون به رمقهم ، ولا من يرعاهم ـ ثم بعد المساكين (الجار ذى القربى) وهو الجار الذى بينك وبينه قرابة ٠٠ وقال بعضهم هو الجار المسلم ثم بعد الجار ذى القربى (الجار الجنيب) وهو الجار الذى ليس بينك وبينه قرابة وقال بعضهم هو الجـار اليهـودى أو النصرانى ـ ثم بعد الجار الجنب (الصاحب بالجنب) وهو الصديق المرافق الذى يجده الانسان الى جنبه فى شدته ورخائه وقال بعضهم هـى الوزجـة وهؤلاء الجيران قال عنهم الرسول عليه الصلاة والسلام (ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) وقـال أيضـا

(الجيران ثلاثة ـ جار له حق واحد ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق .. فأما الجار الذى له حق واحد فجار مشرك ، له حق الجوار ـ وأما الجار الذى له حقان ، فجار مسلم ، له حق الجوار وحق الاسلام ـ وأما الجار الذى له ثلاثة حقوق ، فجار مسلم ذو رحم ، ، له حق الجوار ، وحق الاسلام ، وحق الرحم ـ ثم بعد الجيران (ابن السبيل) ـ وهو المسافر الذى يقطع الطريق بدون مواصلات ولا زاد ، فلا أهل له ولا رفيق ، غير الطريق فهو غريب ضعيف ، له حق الضعيف على القوى ، والانسان على الانسان ـ ثم بعد ابن السبيل (ما ملكت أيمانكم) وهم الارقاء ، الذين ملك غيرهم وجودهم كله ، فهم أضعف الضعفاء .... فهؤلاء جميعا هم أصحاب الحقوق على الانسانية كلها ، فكل انسان مدعو الى اداء هذه الحقوق المجتمعة ... يبدأ منها ـ بأبويه ، ثم بذوى قرابته ، ثم بجيرانه ، ثم بأصدقائه ، ثم بأبناء السبيل ثم بالارقاء ... وتعقيبا على هذه الدعوة الى البر والاحسان ، والتواصل بين الناس ـ يقول الله سبحانه وتعالى : (ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا) أى مختالا فى نفسه ، وملكه العجب ، واستبد به الكبر ، وتعالى على الناس ، لا تأخذه بهم رحمة ، وظن أنه خير منهم ، فهو فى نفسه كبير ـ وهو عند الله حقير ، وعند الناس بغيض ـ ومن لا يحبه الله فياوله من أذاه ـ .

« الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا » (٣٧) .

« والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا

باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا » (٣٨) ٠

« وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليـوم الآخـر وأنفقوا مما رزقهم اللـه وكان الله بهم عليما » (٣٩) ٠

المعنـى : أولئك الذين يضمون الى الاختيـال بأنفسـهم ، والعجب والتكبر والتباهى ، البخل بأموالهم وجهودهم عن الناس ، ويدعون الناس الى مثل صنيعهم من البخـل ، وعدم الاحسان الى المستحقين ٠٠٠ رحمـة بهم وعطفـا عليهم ، ويخفون نعمة الله وفضله عليهم ، أعد الله للجاحدين أمثالهم عذابا مذلا ـ ولو أن نص الآية عـام ٠٠٠ الا أن ذلك حدث فى قـوم من اليهود بخلو بأموالهم ودعـوا غيرهم الى البخـل ، وكتموا ما عندهم من علم الكتاب ـ ولم يقفوا عند هذا بل كتموا الدلائل والبشريات التى عرفوها عن النبى محمد صلوات الله عليه ـ ولقد أعد الله سبحانه وتعالى لكل جاحد وكل كافر عذابا مؤلما مذلا مهينـا ـ وأول مـا يقع عليه هذا الجـزاء هم اليهود ، فهـم أول من بخلوا بما فـى أيديهم من مال ، بل أن بخلهـم كان مضرب الامثـال ، وأول من بخلوا بما عندهم من علم الكتاب ٠٠٠٠ وقوله تعالى : (والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون باللـه ولا باليوم الاخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) هذا عطف على قوله : (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون مـا آتاهم الله من فضله) فهـذا الصنف من الناس كصنف اليهـود ـ فاذا كان اليهود قد بخلوا أثرة وشـحا ـ فهؤلاء أنفقوا مباهـاة ورياء ـ واذا كان اليهود كفروا باللـه وباليوم الآخـر عن علم ، فهؤلاء

كفروا بالله عن كبر وحمق ـ وهؤلاء وهؤلاء قد اتبعوا الشيطان، ووضعوا أيديهم فى يده ، وصحبوه الى حيث يريد ـ ومن اتخذ الشيطان صاحبا ٠٠٠٠ فبئس هذا الصاحب الذى لا يريد لهم الا الضلال ، ولا يوقعهم الا فى الهلاك ـ واستنكارا لموقفهم الذى وقفوه من الهدى والنور ـ يقول الله تعالى : (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما) أى وأى شىء يضربهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وسلكوا الطريق المستقيم طريق الله ، وعدلوا عن الرياء الى الاخلاص بالله ، وأنفقوا مما رزقهم الله ، فى الوجوه التى يحبها الله ٠٠ لا ضرر عليهم فى ذلك ، وانما الضرر فيما هم عليه ، بل أن لهم خيرا فى اتباع سبيل الله لانه سبيل الايمان والطاعة والنجاة ـ والله سبحانه وتعالى عليم بنياتهم ، ومراقب أعمالهم ٠٠٠٠ ان كانت لوجه الله ، أو رئاء ومباهاه ٠

« ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما » (٤٠) ٠

« فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » (٤١) ٠

« يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا » (٤٢) ٠

المعنى : هذا حكم الله بين عباده ، لا يظلمهم مثقال ذرة ـ أى وزن هباءة ـ بل يوفون حسابهم عليها ، فان كانت سيئة

حوسبوا بقدرها ، وان كانت حسنة جوزوا بأضعافها ــ فهذا من فضل الله ورحمته بعباده ، السيئة سيئة ، والحسنة حسنات والله يضاعف لمن يشاء ، ويؤت من لدنه اجرا عظيما ــ وفي قوله تعالى : (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) أخبار من الله سبحانه وتعالى عن هول يوم القيامة ، وشدة أمره ، وعظيم شأنه .... فكيف يكون حال هؤلاء الباخلين والمعرضين عما أمر الله به ، اذا جئنا بكل نبي شهيدا على قومه وجئنا بك ــ أيها النبي ــ شهيدا على قومك ــ وفيهم الكافرون والباخلون ــ والمختالون والفخورون ــ والمانعون والمعرضون ، والذين يكتمون فضل الله ــ ولا يبتغون وجه الله .... (يومئذ يود الذين كفروا وعصموا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا) أي يودوا لو أن الارض انشقت وبلعتهم ، أو انهم غابوا في الارض كما يغيب الاموات في القبور ــ مما يرون من أهوال الموقف ، وما يحل بهم من الخزي والفضيحة ــ ولكن لا مفر لهم ، وقد أحاطت بهم خطيئاتهم ، وجاءت شهادة الرسل مسجلة عليهم آثامهم ــ ثم استنطقهم الله فنطقوا ، وشهدت عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون .

(يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ان الله كان غفوا غفورا » (٤٣) .

المعنــى : يا أيها الذين آمنوا لا تصلوا فى المساجد حــال سكركم ، حتى تفهموا ما تقولون ، ولا تدخلوا المساجد وأنتم على جنابة الا اذا كنتم عابرين المساجد عبــورا دون استقرار فيها ، حتى تطهروا بالاغتسال ـ أى كما لا يقرب شارب الخمر الصلاة حتى يفيق ويعلم مــا يقول ، كذلك لا يقــرب الجنب الصلاة فى المسجد حتى يتطهر بالاغتسال ـ وذلك لعظم شأن الصلاة ، وجليل أمرها ـ فاذا كان هذا شأنها ، وذلك أمرهــا ـ فانه يجب أن لا يدخل حماها الا من كان أهلا لان يلقاهــا ، ويتجــاوب معهــا ، ويستشعر عظمة الله فيها ـ والمخمور غير أهل لهذا اللقاء ، حتى يفيق ويتخلص من سكره ـ وكذلك الجنب غير أهل لهذا اللقاء ، حتى يغتسل ويتطهــر ، ويزول عنــه مــا تلبس بــه من مشاعر الحيوانية ، وتعود اليــه صفات الانسانية ـ وان كنتم مرضى لا لا تستطيعون اســتعمال المــاء خشية زيــادة المــرض ، أو بطء البرء ٠٠٠ أو مسافرين/وشق عليكم وجود المــاء ٠٠٠ أو جــاء أحد منكم من الغائط (أى المكان المعد لقضاء الحاجة) وكان عادة العرب اذا إراد أحدهم التبرز عمد الى غائط فجلس فيــه وقضى حاجته ، ولبس كما يفهم البعض أن كلمة الغائط تعنى المــادة البرازيــة) ٠٠٠ أو لامستم النساء (كناية عن الجماع) فلــم تجدوا ماء تتطهرون به لفقده ، فلكم أن تتيمموا صعيدا طيبا ـ أى اقصدوا ترابا طاهرا فاضربوا به ضربتين ، ضربة للوجــه ، وضربة لليدين الى المرفقين ٠٠٠ وشأن الله دائما العفو العظيم ، والمغفرة عند الاضطرار والتقصير ٠

« ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل » (٤٤) ٠

« والله أعلم بأعدائكم وكفى الله وليا وكفى بالله نصيرا » (٤٥) ٠

« من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وأنظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا » (٤٦) ٠

المعنى : ألا تعجب أيها النبى من أمر هؤلاء اليهود الذين أعطوا نصيبا من الكتاب وهو التوراة ـ والتوراة جزء من كتاب الله الخالد ، الذى اعطى الرسل منه أجزاء بحسب حاجة العصر ، ثم كملت كلها فى الكتاب الخاتم وهو القرآن العظيم ـ وكان المنتظر أن يحصلوا من هذا النصيب على الهدى ، ولكنهم راحوا يشترون الضلالة وفى أيديهم الهدى ، ويعرضون عما انزل الله على رسوله ، ويتركون ما بأيديهم من العلم فى صفة النبى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ليشتروا به قليلا من حطام الدنيا وهم لا يشترون الضلالة لانفسهم فحسب ، انما يريدون كذلك أن تضلوا السبيل المستقيم الذى تسلكون ، وتخطئون الطريق الحق فتكفرون ، وتتركون ما أنتم عليه من الهدى والعلوم والنور ـ والله سبحانه وتعالى أعرف منكم بأعدائكم ، وأخبركم بحقيقة ما تنطوى عليه نفوسهم ـ فان أنتم تنبهتم الى اعدائكم وأخذتم

حذركم ، وتحصنتم من كيدهم ومكرهم بايمانكم ، كان الله حافظا لكم منهم ، ومانعا لكم من كيدهم ـ فهذه حماية ربانية ، وحراسة رحمانية للمؤمنين أمثالكم ... ومن هؤلاء اليهود فريق يغيرون الكلم الذى أنزل الله فى التوراة من نعت النبى محمد عليه الصلاة والسلام عن مواضعه التى وضع عليها ، ويميلون الكلام عن معناه ، فيقولونه فى غير معانيه ووجوهه ، ويجعلون ظاهرة غير باطنه ، ويقولون للرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم اذا دعاهم للايمان ، أو أمرهم بشىء (سمعنا) قولك بأفواههم (وعصينا) امرك بقلوبهم ـ ويقولون (اسمع) بصوت مسموع ويتبعون ذلك بصوت خافت (غير مسمع) يدعون على النبى بالصمم ـ ويقولون (راعنا) ـ أى أنظر الينا وأرعانا ـ ينطقونها بخبث ولؤم (راعنا) وهى كلمة سب فى لغتهم صفة للرعونة والطيش ـ وهكذا كانوا يلوون ألسنتهم رغبة فى ايذاء الرسول صلوات الله عليه وطعنا فى دينه ، لوصف مبلغه بالرعونة ـ يحكى الله عنهم هذا السلوك المنحرف الذميم ، ويضع أمامه السلوك المستقيم اللائق ... ولو أنهم استقاموا وقالوا (سمعنا وأطعنا) بدل قولهم سمعنا وعصينا ، وقالوا (اسمع) دون أن يقولوا (غير مسمع) ، وقالوا (انظرنا بدل (راعنا) لكان خيرا لهم مما قالوه وأعدل سبيلا ، لما فيه من أدب وصراحة واستقامة ـ ولكنهم لم يفعلوا لان الله كتب عليهم اللعنة ، والطرد من الرحمة ، والبعد عن أسبابها ـ بسبب كفرهم واعراضهم فلا تجد منهم من يستجيبون لداعى الايمان الا قليلا .

« يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا » (٤٧) .

« ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما » (٤٨) .

المعنى : يا أيها الذين أوتوا الكتاب الذى أنزله الله على نبيكم موسى آمنوا بالكتاب الذى انزله الله على النبى محمد مصدقا لما معكم ، من قبل أن ننزل بكم عقابا تنمحى معالم وجوهكم فتصير كأقفيتها ـ لا أنف بها ـ ولا عين ، ولا حاجب ـ وهذا العقاب هو الجزاء الوفاق لما طمستم من كتاب الله ، ولما حرفتم كلمه عن مواضعه ـ فان لم يكن فى هذا الجزاء ما يردعكم ، ويرد اليكم شارد عقولكم ، فهناك جزاء آخر أقسى وأشد ـ وهو أن يلعنكم الله ويطردكم من رحمته ، كما طرد الذين خالفوا أمره بفعل ما نهوا عنه من الصيد يوم السبت ، ويمسخكم ويجعلكم قردة في أجساد بشر ـ وكان أمر الله مفعولا ، وقضاؤه نافذا ـ فاذا شاء فلا راد لمشيئته ، واذا أراد فلا معوق لارادته فسارعوا يا أيها الذين أوتوا الكتاب الى الايمان من قبل أن يتحقق هذا التهديد ... لان الله سبحانه وتعالى لا يتسامح فى أن تشركوا به ، أنه قد يعفو عن كل كبيرة فى ظل الايمان ، أما خارج حدود الايمان فلا غفران ـ فالشرك كبيرة الكبائر ، لا يغفر الله

لمرتكبها ، ولا يدخله مدخل عباده الداخلين في رحمته (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) (٧٢ : المائدة) .

« ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء ولا يظلمون فتيلا » (٤٩) .

« أنظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا » (٥٠) .

المعنـى : يعـود السياق الى تعجيب الرسـول عليه الصلاة والسلام من أمر اليهود والنصارى فى تزكية أنفسهم ، والشهادة لها بالطهارة والهدايـة ، وهم على مـا هـم عليه من الضلالـة والغواية ... ومع هذا فانهم يرون أنفسهم أولى الناس بالله ، وأقربهم اليه ، وأحقهـم بفضله ورحمتـه ـ فقالوا فيما كانوا يقولون (نحن أبناء الله وأحباؤه) ـ وقالوا (لن تمسنا النار الا أياما معدودة) ـلقد زكوا أنفسهم بغير حق ، ورفعـوا منزلتهم الى مكان ليسوا أهلا له ـ فما أشـد افتراءهم على اللـه ، الذى ينسبون اليه أنه عنهم راض ، وأنهم شعبه المختار ـ وليس من وظيفتهم ان يشهدوا لانفسهم ، وليس من شأنهم أن يتحدثوا عن رأى الله فيهم ، وليس لاحد أن يتخير عند الله المكان الذى يمليه عليه هواه ـ فذلك أمر الله وحده ، ينزل عبـاده منازلهم حسب علمه بهم ، وما هم أهل له ... دون أن يظلمهم فتيلا ـ والفتيل هـو الخيط الرفيع الذى يكون فى شق النـواة ـ فهم لا يظلمون مقدار هـذا الفتيل الضئيل ـ فانظـر كيف يفترون على اللـه

الكذب .... فى تزكيتهم أنفسهم ، ودعواهم أنهم أبنـاء الله واحباؤه ، وقولهم (لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى) وقولهم (لن تمسنا النار الا أياما معدودة) ... وكفى بصنيعهم هذا كذبا واضحا ، وافتراء ظاهرا ، يحسب عليهم ذنبـا ضخما واثمـا مبينـا .

« ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سـبيلا » (٥١) .

« أولئك الذين لعنهـم اللـه ومن يلعن اللـه فلن تجـد له نصـيرا » (٥٢) .

« أم لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا » (٥٣) .

« أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا من آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما » (٥٤) .

« فمنهـم من آمن بـه ومنهم من صـد عنه وكفى بجهنـم سـعيرا » (٥٥) .

المعنـى : تعجيب آخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم لفعلة اخرى لليهود ، وكيف أنهم يؤمنون بالجبت والطاغوت ـ وقيل عن الجبت والطاغوت أنهما صنمان لقريش ، وقيل الجبت هو السحر ـ والطاغوت هو الشيطان ، وقيل كل ما عبد من دون الله ـ وهم يؤمنون بكل هذا ، ويفضلون الكفار على المسلمين بجهلهم ، وقلة

دينهم ، وكفرهم بكتاب اللـه الذى بأيديهـم ، وبسبب صنيعهم الحقير ، بادرهم الله باللعنة ، وكشف لهم سوء المصير ، ثم يعقب الله سبحانه على موقفهم بقوله ــ ليس لهم شىء من الملك ــ ولو كان لهم نصيب فى الملك والتصرف لما أعطوا أحدا من الناس شيئا يملأ النقير ... وهو النقرة التى فى ظهر النواة ، وهو شىء غاية فى الصغر والضآلة ــ ولو كان الى أيديهم شىء من رحمة اللـه وفضله ، لحرموا النـاس أن ينـالوا ذرة من هذه الرحمة وذلك الفضل ، لطبيعة شحهم ، وفرط بخلهم ــ وداء الشح الذى طبعوا عليه يولد داء الحسد ، فهم تتقد فى قلوبهم نار الحسد والكمد ، اذا رأوا نعمة من نعم اللـه تصيب عبـدا من عبـاده ... فهم يحترقون غيظا وكمدا أن ساق الله الى محمد صلوات اللـه عليه هذا الفضل العظيم ، ووضع فى يده النعمة السابغة ، حين اصطفاه لرسالته ، وأنزل عليه كتابه ــ ويقرر اللـه سبحانه وتعـالى ان نعمته ليست وقفا على أحد ، انما ينالهـا من يستحقها بالايمان ، ويحرم منها من يضيعها بالكفران ، ولقد من الله على آل ابراهيم بالكتاب والحكمة والملك العظيم ــ فمن آل ابراهيم كان أنبيـاء بنى اسرائيل : اسحاق ، ويعقوب ويوسف ، وموسـى ، وداود ، وسليمان ، وزكريا ، ويحيى ، وعيسى ــ فما أكثر الخـير الذى ساقه الله اليهم على يد أنبيائه ورسله ، ولكن القوم إستقبلوا هذا الخير بالجحود والنكران ــ فقليل منهم أولئك الذين آمنوا ، وكثير منهم أولئك الذين كفروا وجحدوا (وكفى بجهنم سعيرا) فهى الجزاء العادل لمن مكر بآيات الله ، وبدل نعمته كفرا جل علاه .

« ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما » (٥٦) ٠

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا لهم أزواج مطهره وندخلهم ظلا ظليلا » (٥٧) ٠

المعنى : يخبر تعالى عما يعاقب به فى نار جهنم من كفر بآياته وصد عن رسله ففى جهنم التى هى مأوى هؤلاء المكذبين الكافرين ، ألوان من العذاب لا تنتهى (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) ليعيشوا هكذا فى عذاب دائم ـ وقد أثبت العلم أن الاعصاب المنتشرة فى طبقات الجلد هى أكثر الاعصاب حساسية لمختلف المؤثرات من حرارة وبرودة ـ ولذا كان العذاب الاخروى واقع على جلودهم ـ كلما احترقت جلودهم ، أعيدت الى حالها الاول غير محترقة ـ وذلك بأمر الله (عودوا فعوذوا) ـ ليستمروا فى ألم العذاب ، ويقاسوا شدته ، والله سبحانه وتعالى غالب على أمره ، قوى قادر ، حكيم فى صنعه ، يضع لكل حالة جزاءها ، ولكل داء دواءه ـ وفى مقابل هذا العذاب الذى يصلاه الكافرون ، وهذا المشهد الملهوف المكروب ، تقوم الجنة التى ينعم فيها السعداء المؤمنون ـ تجرى تحت أشجارها الانهار ولا تنتهى لهم فيها حياة ، خالدون فيها ابدا لا يحولون ولا يزولون ، ولا يبغون عنها حولا ـ ولهم فيها أزواج

مطهرة من الادناس والعيوب ، ويحيون حياة ناعمة طيبة فى ظل ظليل ، من العيش الطيب ، والنعيم المقيم ــ وعن الرسول الكريم (أن فى الجنة شجرة يسير الراكب فيها مائة عام لا يقطعها ــ شجرة الخلد) .

« ربع ان اللـه يأمركم »

« ان اللـه يامركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظمكم به ان الله كان سميعا بصيرا » (٥٨) .

« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا اللـه وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تاويلا » (٥٩) .

المعنى : يخبر الله سبحانه أنه يأمر المؤمنين بأداء الامانات الى أهلها ــ والامر يعم جميع الامانات الواجبة على الانسان من حقوق الله عز وجل على عباده ، من صلاة ، وصيام وحج ، وزكاة ، وكفارات ، ونذور ، وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه ــ ومن حقوق العباد بعضهم على بعض من تعامل ، سواء فى مجال الآداب الشخصية ، أو فى مجال المعاملات المادية ــ ويأمركم أيها المؤمنون أن توصلوا جميع ما ائتمنتم عليه من اللـه أو الناس الى أهله بالعدل ، وكذلك يكون حكمكم بينهم ، فلا تجوروا فى الحكم ــ وهذه موعظة من ربكم فاحرصوا عليها ــ وتلك الموعظة الحسنة ــ

لانها دعوة الله الى الخير ، ولا يدعو الله الا الى الخير ، ولا يأمر الا بخير ، وهو سبحانه سميع لما يقال ، بصير بما يفعل ، فيعلم من أدى الامانة ومن خان ، ومن حكم بالعدل ومن جار ، فيجازى كلا بما يستحق من ثواب أو عقاب . ويأمر سبحانه وتعالى عباده المؤمنين ، المصدقين بما جاء به رسولهم عليه الصلاة والسلام . أن يطيعوه سبحانه ويطيعوا رسوله - بما له من صفة الرسالة - فطاعته واجبة لانها من طاعة الله الذى أرسله - فلا انقياد لله لمن لا ينقاد لرسول الله - والانقياد لاولى الامر - وهم من يولون أمر المسلمين ، ويقومون على رعاية مصالحهم ، من آباء وقادة ، وحكام ، وعلماء وغيرهم ممن لهم سلطان أدبى أو مادى - والانقياد هنا ليس انقيادا مطلقا الا للقائمين بالحق والعدل ، والمنفذين للشرع - فان أقاموا على غير ذلك فلا طاعة لهم - كما ثبت فى الحديث عن الرسول صلوات الله عليه انه قال (السمع والطاعة على المرء المسلم فان لم يؤمر بمعصية ما فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) فالطاعة فى طاعة الله ، والمعصية فى معصية الله - فاذا وقع نزاع فى أمر ما ، كان مدده الى حكم الله ورسوله امرا واجبا على المسلمين - فهو سبحانه وتعالى وليهم ، وشريعته دستورهم ، ورسوله مبينا لهم ، وفيها الحكم العدل بينهم ، فمن كان مؤمنا بالله واليوم الآخر استقام على شرع الله ، ووقف عند حدوده ، وخضع لحكمه ، فالرجوع عند أى خلاف الى ما قضى به كتاب الله وسنة رسوله ... هو الطريق المأمون السليم ، حيث كان الاحتكام الى أحكم الحاكمين فهذا أحسن عاقبة ، وأعظم مآلا ،

وأوفى جزاء .

« ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا » (٦٠) .

« واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً » (٦١) .

« فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان أردنا الا احسانا وتوفيقا » (٦٢) .

« أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا » (٦٣) .

المعنى : بعد أن أمر الله سبحانه وتعالى فى الآية السابقة عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ، والرجوع عند أى خلاف بينهم الى ما قضى به كتاب الله وسنة رسوله ـ يلتفت الى هؤلاء الذين ينحرفون عن هذه القاعدة ، ويتحاكمون الى غير شريعة الله وهم يزعمون أنهم مؤمنون ـ يلتفت اليهم بتعجيب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أمرهم قائلا : ألا تعجب أيها النبى من أمر هؤلاء الذين يدعون أنهم صدقوا بما أنزل عليك من الكتاب ، وما أنزل من قبلك من الكتب ، يريدون أن يتحاكموا فى فصل خصوماتهم الى الطاغوت ـ وهو مجمع الباطل والضلال والفساد ـ وقد أمروا أن يجحدوه ولا يتحاكموا اليه ، لان العدل فيه لا يتحقق

فهو خاضع للهوى والانحراف والضلال ، ولكنهم اتجهوا هذا المتجه، ونهجوا ذلك المنهج ، لان الشيطان رائدهم ـ ويريد الشيطان أن يصدهم عن طريق الحق والهدى ، فيضلهم عنه ضـلالا بعيدا ، لا يرجعون منه ولا يهتدون ٠٠٠ واذا قيل لهم أقبلوا على مـا أنزل الله من قرآن وشريعة ـ وعلى رسوله ليبيـن لكم ـ رأيت الذين ينافقون يعرضون عنه اعراضا شديدا ـ حيث يتصادم ظاهرهم مع باطنهم ، ويغلب نفاقهم على ايمانهم ، فيفرون من هذه الدعوة التى يدعون بها الى الاحتكام الى ما أنزل الله ، والى ما يقضى به رسوله ـ (فكيف اذا أصابتهم مصيبـة بما قدمت ايديهـم) أى فكيف اذا سـاقتهم المقاديـر اليك فـى مصائب تطرقهم بسبب ذنوبهم ، وخبث نفوسهم ، وسوء أعمالهـم ، واحتاجوا اليك في ذلك ، ولم يجدوا ملجأ الا اليك فجاءوك يقسمون بالله بين يديك ، أنهم لا يريدون بأقوالهم وتصرفاتهم الا الاحسان وطلب التوفيق ، أولئك الذين يقسمون ، بعلم الله حقيقة ما فى قلوبهم ، وكذب قولهم ، وسوء نفاقهم ، فلا تلتفت الى كلامهم ، واترك مماراتهم والجدل معهم ، وقدم النصح لهم ، والموعظة الحسنة التى تصل الى قلوبهم ، وقل لهم قولا بليغا يصل الى أعماق نفوسهم ٠

« وما أرسلنا من رسول الا ليطـاع باذن اللـه ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جـاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهـم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » (٦٤) ٠

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكمون فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٦٥) .

المعنــى : وما أرسلنا من رسول الا كان الشأن فى رسالته أن يطاع ـ وما يطاع الرسول لذاته وبذاته ، ولكنه يطاع باذن الله وشرعه ـ فقد جاء ليبين شريعة الله ويقوم على تنفيذ ما أمر الله ، ويأخذ الناس بطاعة شريعته ، واحترام أمره ـ ومن ينافق أو يكذب ، او يخالف يكن ظالما لنفسه ـ ولو أن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم بتحاكمهم الى الطاغوت ، رجعـوا الى الهـدى ، فجاءوك وطلبوا المغفرة من الله على ما قدموا ، ورجوت لهم المغفرة بمقتضى رسالتك ، وما رأيت من تغيير حالهم ، لوجدوا ربا غفورا ، يتقبل توبتهم ، ويرحم ضعفهم ، ويعفو عن خطئهم ، فما أوسع رحمة الله بعباده ، وما أعظم فضله عليهم ـ يدعوهـم اليه وهـم شاردون ، ويمد اليهم يده وهم معرضون « ان الانسان لظلوم كفار » (٣٤ : ابراهيم) ـ ويقسم سبحانه وتعالى بنفسه الكريمة المقدسة ... أنهم لا يعدون مؤمنين بالحق مذعنين له ، حتى يجعلوك حكما فى جميع أمورهم ـ فما حكمت به فهو الحق الذى يجب الانقياد له باطنا وظاهرا ـ ويسلمون لك تسليما كليا من غير ممانعة ، ولا مدافعة ، ولا منازعة ـ ثم لا تضيق نفوسهم أى ضيق بما قضيت ويذعنوا لك اذعان المؤمنين الصادقين ، وينقادوا لحكمك انقياد الطائعين المخلصين ، والمطمئنين الراضين .

« ولو أنا كتبنا عليهـم أن اقتلـوا أنفسـكم أو اخرجوا من

ديارکم ما فعلوه الا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا » (٦٦) ٠

« واذا لآتيناهم من لدنا أجـرا عظيما » (٦٧) ٠
« ولهديناهم صراطا مستقيما » (٦٨) ٠

المعنــى : يخبر الله سبحانه وتعالى أن الشريعة الاسلامية قائمة على السماحة واليسر ، ليس فيهـا ارهــاق ولا عنت ، ولا تكاليف شــاقة ، كالــذى فرضهــا اللــه على اليهــود وغـيرهم ممن حادوا الله ورسوله ، بعد ما من الله عليهم بكثير من نعمه وعظيم أفضاله ـ فاليهود حين اتخذوا العجل الها من دون الله بعد أن نجاهم الله من فرعون ، وفرق لهم البحر ، وأنزل عليهم المن والسلوى ، أمرهم الله بأن يقتلوا انفسهم بأنفسهم ، ان أرادوا التكفير عن خطيئتهم ، والرجوع الى ربهــم ـ وفى هــذا يقول سبحانه : « واذ قال موسى لقومه يــا قوم انكــم ظلمتم أنفســكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم » (٥٤ : البقرة) فكتب الله عليهم أن يقتلوا أنفسهم ليتطهروا ، وكتب عليهم أن يخرجوا من ديارهم ليقاتلوا ـ والله سبحانه وتعالى يقول لنبيه ان أتباعه لو دعوا الى مثل ما دعتهــم التوراه ما أجابوا الا قليل منهم ، ولو انهم استجابوا لدعوة الاسلام ـ وهى الايسر فى تكاليفها ، والسمحة والسهلة فــى أوامرها ـ لكان خيرا لهم ، وأشد تثبيتا لايمانهم ، ولنالوا خيرا كثيرا جــزاء طاعتهم ـ ولكانوا بسبب اطاعتهم فيما يطيقون ، قد هداهم الله الى الطريق المستقيم ، الذى لا افراط فيه ولا تفريط ٠

« ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » (٦٩) ٠

« ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما » (٧٠) ٠

المعنى : بعد ما عرض الله سبحانه وتعالى فى الآيات السابقة هذا العرض الكاشف لضلال الضالين ، ونفاق المنافقين — وبعد تلك الموازنة بين الشريعة الاسلامية ويسرها ، وما تحمل الى الناس من رحمتها وخيرها ٠٠٠ وبين الشرائع السابقة وما كانت تحمل الى الناس من نكال ، وبلاء — جزاء كفرهم ومكرهم ، وما كانوا عليه من رياء — بعد هذا يدعو الله سبحانه وتعالى الى طاعته وطاعة رسوله ، والاستجابة لاوامره ودعوة رسوله — والاحتكام الى كتابه — وسنة رسوله ، والرضا بقلوب مطمئنة ، ونفوس راضية بقضائه وبقضاء رسوله — فان هم فعلوا ذلك كانوا فى عداد الصالحين ، الذين رضى الله عنهم ، وأجزل المثوبة لهم ، وأسكنهم دار كرامته ، وجعلهم مرافقين لانبيائه ، وأتباعهم الذين صدقوهم ، واتبعوا منهجهم ، وهم أفاضل أصحاب الانبياء ، وهم الصديقون لمبالغتهم فى الصدق والتصديق ، والشهداء ، وهم القتلى فى سبيل الله ، والصالحين ، وهم الذين صلحت سريرتهم وعلانيتهم — وما أحسن هؤلاء رفقاء ٠٠٠ لا يشقى جليسهم ، ولا يمل حديثهم —وتلك المنزلة العظيمة لمن أطاع الله ورسوله ، هى الفضل الكبير من الله ، يؤتيه من

يشاء من عباده ، الذين رضى عنهم ، وسلك بهم مسالك الهدى والايمان ، ويكفى المؤمن علم الله بحاله ، وهو يقوم بطاعته ، ويطلب مرضاته ٠

« يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا » (٧١) ٠

« وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا » (٧٢) ٠

« ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما » (٧٣) ٠

المعنى : يأمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين أن يكونوا فى حذر دائم من أعدائهم وأن يحترزوا منهم ، ويتيقظوا لهم ، ويأخذوا الاهبة لرد كيدهم ، فلا يغفلوا لحظة فيؤخذوا خدعة أو بغتة ٠٠٠ ولا يخرجوا الى الجهاد حين يخرجون جماعات يسهل صيدهم - أو فوضى يسهل أخذهم ، انما يخرجون جماعات منظمة _ جماعة بعد جماعة ، أو سرية بعد سرية _ أو ينفرون جميعا وقادتهم معهم ، حسب تقديرهم لقوة العدو ، وللاسلوب الذى تمليه الحكمة ، ويقتضيه النظر ، ويستدعيه الموقف ٠ ويأمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين أن يحذروا المعوقين ٠ المبطئين ٠ المثبطين ، سواء كانوا يبطئون أنفسهم _ أى يقعدون بها متثاقلين ، أو يبطئوا غيرهم معهم ٠٠ ٠وهى أشد وأنكى _

فان أصابتكم مصيبة ونكبة فى الجهاد أى قتل وشهادة وغلب العدو لكم ، لما لله فى ذلك من الحكمة ... قال قائلهم (قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا) لقد نجا بنفسه ، وسلم الاذى والتلف ... وما درى أنه من الخاسرين ، حيث فاته ثواب الشهداء وأجر المجاهدين ـ وان جاءكم فضل من الله بالنصر والفوز والغنيمة (ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) أى محبة وصداقة ومعرفة وكأنه ليس من دينكم ـ (يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما) . متمنيا أن لو كان مع هذا الركب الظافر ، متطلعا الى ما فى ايديهم من أسلاب وغنائم وهو أكبر قصده ، وغاية مراده .

(ربع فليقاتل)

« فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » (٧٤) .

« وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » (٧٥) .

« الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان أن كيد الشيطان كان ضعيفا » (٧٦) .

المعنــى اذا كـان منكـم من يعــوق أو يبطــىء ، لضعف فى ايمانه ، أو خـور فى عزيمته ... فليقاتل فى سبيل اعلاء كلمة اللــه والحق ، الذين يبيعون الحياة الدنيا ، طالبين الحياة الآخرة ــ ومن يقاتل فى سبيل اعلاء كلمة اللــه والحق ، فسينال احدى الحسنيين ، فأما أن يقتل فينال فضل الاستشهاد ــ وهو فى سبيل اللــه ، وأما أن يغلب وينتصر ويغتنم فينــال فضل الفوز فى الدنيــا ــ وهو فى كلا الامرين محمود عند اللــه ، وفى كلتا الحالتين سينال أجره العظيم فى الآخرة من مولاه ... كما ثبت فى الصحيحين ــ أن اللــه سبحانه وتعالى تكفل للمجاهد فى سبيله أن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه الى مسكنه الذى خرج منه بما نال من أجر وغنيمة ، وكيف يسوغ لكم ألا تقاتلوا فى سبيل اللــه ، مع أن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان من مسلمى مكة الذين حبسهـم الكفــار عن الهجــرة ، وآذوهــم ــ يستغيثــون ويستنصرون ضارعين الى اللــه يقولون ــ ربنــا أخرجنا من هذه القرية (أى مكــة ـ المتلبس أهلها بالظلم ، والظالم أهلها بالكفر، واجعل لنــا من عندك وليــا يتولى أمرنا ، واجعل لنــا من لدنك نصيرا يمنعنا منهم ، وأخرجنا من ولاية هؤلاء الظالمــين ، ومكنا بقوتك ورحمتك من أن نكون تحت ولاية المؤمنين ــ فكيف يهنــأ لكم العيش واخوانكم على تلك الحالــة ؟ ــ الذين صدقوا بالحق وآذعنوا له ، يقاتلون فى سبيل اعلاء كلمة اللــه والعدل والحق ، والذين جحدوا وعاندوا يقاتلون فــى سبيل الظلــم والفساد ، وبذلك كانــوا أوليــاء الشيطان ، أوليــاء البــاطل ، وأتبــاع

الضلال ـ فيا أيهـا المؤمنـون قاتلوهم لانهـم أعـوان الشيطان وأنصاره ، واعلموا أنكم منتصرون عليهم بتأييد الله ••• فمهما عظم فساد الشيطان وتدبـيره فهو واهن ضعيف ••• والنصر لا يتخلف أبدا عمن يقاتلون فى سبيل اللـه (ألا ان حزب اللـه هم الغالبـون) •

« ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتـال اذا فريق منهـم يخشون الناس كخشية اللـه أو أشد خشية وقالوا ربنـا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا » (٧٧) •

المعنـى : ألم تنظر يـا محمد وتعجب الى الذين رغبوا فى القتال قبل أن يجيء الاذن به ـ فقيل لهم لم يـأت وقت القتال ـ لان الحكمة تقتضى الصبر حتى تتعادل الكفتان أو تتقاربا فكفوا أيديكم عنهم واصبـروا ، وأقيمـوا الصلاة ، وآتـوا الزكاة ، وانتظروا أمر اللـه ـ فلما جاءت اللحظة التى يرتقبونها ، وقيل لهم الآن جاهدوا والقوا عدوكم كما رغبتم ـ اذا طائفـة منهم يخافون الناس كخوف الله أو أشد ـ وقالـوا مستغربين (ربنـا لم كتبت علينا القتال) متوهمين أن فرضية القتال تعجيلا لآجالهم، ولذلك قالوا لولا أخرجتنا الى أجل قريب نستمتع فيـه بما فى الدنيـا ••• فبين لهم أولا حقيقة متـاع الدنيا الذين سيتشبثون بالحياة من أجله ، ويخافون أن يموتوا ويتركوه ـ انـه قليل فى

زمنــه ، قليل فى مقداره، قليل فى حقيقته ـ فـلا يقاس بمتاع الآخرة ، فهو متاع طويل ، ومتاع جميل ، ومتــاع أصيل ـ فمن ربح الدنيا وخسر الاخرة فذلك هو الخسران المبين ، ومن خسر الدنيا وربح الآخرة فذلك هو الفوز العظيم ـ وبين لهم ثانيا أن الموت والحياة بيد اللــه ، وأن الجبن لا يطيل الحياة ـ فقل لهــم تقدموا للقتال ولو أدى الى استشهادكم ، فاجر الاخرة خير للمتقين منكم ، وستجزون على أعمالكم ، ولا تنقصون شيئا مهمــا صغر جزائكم .

« أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند اللــه وان تصيبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند اللــه فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا » (٧٨) .

« ما أصابك من حسنة فمن اللــه وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى باللــه شهيدا » (٧٩) .

« من يطع الرسول فقد أطاع اللــه ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا » (٨٠) .

المعنــى : هؤلاء الذين يفزعون من الموت ، ويفرون منــه ويخشون التعرض له فى مواقف الجهاد فــى سـبيل الله ـ ماذا يعصمهم من الموت ؟ فهم ان لم يموتوا بضربة سيف ، أو طعنة رمح فى ميــدان القتال ، ماتوا حتف أنوفهم وهــم فى بيوتهم وبــين

أهليهم ... فان فروا من الموت ، فانما يفرون الى الموت ... لانه هو خاتمة المطاف لكل حى ، وان طـال أجله وامتد عمره ــ اذن فالموت الذى يهرب منـه هؤلاء الجبنـاء هو ملاقيهم ــ أينما كانوا، ولو كانوا فى حصون مشيدة ، فـلا يعصمهم منـه عاصـم ، ولا يقيهم منـه واق ــ وأن هؤلاء الخائرين لضعف ايمانهم يقولون وان أصابهم جدب أو هزيمة قالوا : هذه من عندك يا محمد ، وما رواج فى تجارة قالوا : هذا من عند اللـه ــ وهذه قولة حق ... وان أصابهم جدب أو هزيمة قالوا : هذه من عندك يا محمد ، وما كان الا بشؤمك ، أو بسبب اشارتك ، أو أمـرك ، أو خططك وتلك رميـة باطل وضلال ــ فما جاءهم الرسول به ، وما دعاهم اليه، الا كان الخير الخالص لو أنهـم استقاموا على الطريق الذى أقامهم عليه ــ فقل لهم ... كل ما يصيبكم من خير أو شر ، مما تحبون أو تكرهون ــ فهو بقدر مقدور قدره اللـه ــ وأنا لا أملك من الامر شيئاــ فالامر كله بيد اللـه ــ وما كان لاحد أن يغير أو يبدل شيئا مما قضى به اللـه ــ فما لهم يكادون يكونون كالبهائم لا يفهمون قولا ــ ولو كان لهم شىء من فقه الحديث لكان لهم مما جاءهم به النبى من كلمات اللـه ، تبصر وهدى ... ولكن أنى للعمى أن يبصروا ، وللصـم أن يسمعوا ؟ ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا ... وقوله تعالى : (وما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) تبدو أن هذه الآية تتعارض مع التى قبلها والتى تقرر أن كل ما يقع فى الكون من الاحداث مصدره الله ــ والحقيقة أنه لا تعارض ــ فاذا كان اللـه سبحانه

وتعالى أضاف الخير الى نفســه ، وأضاف الشر الى الانسان ، فما ذلك الا لمشيئته التى اقتضت أن يكون للانسان ارادة تختار الطريق الذى يؤدى الى الحسنة ، أو الطريق الذى يؤدى الى السيئة ، فحين يختار الطريق الاول يرضى الله عنه ، ويحقق له الخير الذى قصد اليه ، فتكون الحسنة التى تصيبه من اللــه ، وحين يختار الطريق الآخر يبعــد عن اللــه فتصيبه السيئة ، وتكون من عنــده ٠٠٠ وكلتاهما فى النهاية من عند اللــه لانهمــا تجريان على سنته ، ووفق مشيئته وتختتم الآية بتحديد لمهمــة الرسول ، وأنــه ليس مسئولا عن ضلال الضالين ــ وعناد المعاندين ، ان عليه الا البلاغ، وكفى باللــه شهيدا بما كان من الرسول من تبليغ رسالة ربــه ، فمن قبلها فقد سعد ونجــا ، ومن أعرض عنها فقد هلك وشقى ــ فطاعة الرسول طاعة اللــه ـ لانه لا يأمر الا بما أمر اللــه ، ولا ينهى الى عما نهى اللــه ، فمن أطاع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما على الرسول شىء من توليه ، وانما حسابه على الله ٠

« ويقولون طاعــة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول واللــه يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الــه وكفى باللـه وكيلا » (٨١) ٠

المعنــى : يخبر اللــه تعــالى عن هــذا الفريق المتردد من المنافقين بأنهم يظهرون الموافقة والطاعة ويقولون : أمرك مطاع، وليس لك منا الا الطاعة فيما تأمر وتنهى ٠٠٠ ولكن اذا خرجوا من عندك ، وابتعدوا عنك ، دبرت طائفة منهم أمرا وبيتته ، غير

الذى تقوله أنت لهم من أمر ونهى ـ واللــه سبحانه وتعالى يحصى عليهم ما يديرونه فى خفاء ، ويكتبه عليهم بما يأمر به حفظته الكاتبيين الموكلون بالعباد ـ فلا عليك منهم ، ولا تبال بهم ، ولا تلتفت اليهم ،وأعرض عنهم ، وفوض أمرك الى اللــه ، وتوكل عليه ، وكفى به وليا وناصرا ومعينا لمن توكل عليه وأناب اليه ٠

« أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير اللــه لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » (٨٢) ٠

« واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل اللــه عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا » (٨٣) ٠

المعنــى : أفلا يتأمل هؤلاء المنافقون كتاب الله ، فيعلموا حجة اللــه عليهم فى وجوب طاعته ، واتباع أمر نبيــه ورسوله ، ويعلموا أن هذا الكتاب من عند اللــه ٠٠٠ لا من عند البشر ٠٠٠ لائتلاف أحكامه ، وبديع معانيــه ، وتأييــد بعضه لبعض ـ فهذا دليل قاطع على أنه من عنــد اللــه ٠٠٠ اذ لو كان من عند غــيره لتناقضت معانيه ، واختلفت أحكامــه ، وتفاوتت عباراته ، بأن يكون بعضها فصيحا ، وبعضها ركيكا ، مما لا تتنزه عنــه القوة البشرية ٠٠٠ فالانسان لا يستوى على أفق معين فى كل أحواله ، ولا بد من ارتفاع وانخفاض ، ولابد من ضعف وقوة ، ولكن هذا المستوى الفائق فى التعبير ، وهذا التناسق الفنى فى التصوير ،

يقطع بأنه كلام الحكيم الخبير - وينكر اللـه سبحانه وتعالى على من يبادر الى الامور قبل تحققها ، فيخبر بها ، ويفشيها وينشرها ، قبل أن تثبت صحتها - ويخبرنا القرآن الكريم أن سلاح الاشاعات ليس جديدا فى هذه الايام ، وحرب الاعصاب ليست من مبتكرات هذا العصر ••• - فلقد كان المنافقون ، وضعفاء المؤمنين ، كلما وقعت لآذانهم كلمة طاروا بها ، وألقوا بها الى كل أذن - دون أن يتبينوا مـا يسمعون ، ودون أن يـدروا مصدر مـا يقولون - فاذا جاءهم أمر من الامور ••• يتعلق بقوة المسلمين ونصرهم - أوامـر من الخـوف ••• يتعلـق بضعف المسلمين وهزيمتهم - أذاعوه ، وأفشوه ، ونشروه ، جاهرين به ، للتغرير بالمسلمين ، أو القاء الرعب فى قلوبهم ، أو توصيل أنبائهم الى أعدائهم ••• ولو أنهم عقلوا ، أو كانوا على بصيرة من أمرهم ، لراجعوا أنفسهم عند كل خبر يلقى اليهم ، وعند كل شائعة ترد الى أسماعهم ••• فان التبس عليهم شىء أو اختلط عليهم أمـر ، ردوه الى الرسول ، فكشف لهم وجه الحق فيه ، ووقف بهـم على موارده الصحيحـة ، وأراهم الطريق القويم الذى يلقونه منه ••• فـأن لم يكن لهم الى الرسول سبيل ، كان فى أولى الامـر منهـم ، وفى القـادة ، والراشدين بينهم ، من يضبط موارد هذه الاخبـار ومصادرها ، ويعزل غثها عن ثمينها ، وباطلها عن حقها ••• ولو فعلوا ذلك لكان خيرا لهم وأقوم ، ولأراحوا أنفسهم ، وأراحوا الناس من هذا الهرج والمرج الذى يثيرونه بهذه الاخبار المشوشـة المضطربة ، وهذه الثرثرة بلا حساب ولا تقدير ••• وينبه اللـه سـبحانه

وتعالى عباده المسلمين الى الخطــر الذى يتهددهــم من وراء هذه الوسوسات ، وهذه المفتريات ، وهذه الاحاديث وآباطيلها ، وأن ذلك جميعــه من واردات الشيطان الــذى يســول لتلك النفوس المريضة باللغــو ، ويغريها بالثرثرة ، فتذيع فــى الناس البلبلة والاضطراب ، وتفتح لهم أبواب الفتنة والضلال ... ولولا فضل اللــه عليكم بالاسلام ، ورحمته لكم بالقرآن ، ومــا يحرص به المؤمنين من عظاته ، وما يتمسكوا به من تنبيهاته وارشاداته ، وما يعتصموا به من تنفيذ أوامره واجتناب منهياته ـ لولا هذا لضلوا وغووا الا قليلا منهــم ممن استعصم بعقله ، واحتكم الى رأيــه ، وتمسك بكتاب اللــه وسنة نبيــه .

« فقاتل فى سبيل الله ولا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشـد بأســا وأشــد تنكيــلا » (٨٤) .

المعنــى : يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله بأن يباشر القتال بنفسه، ومن نكل عنه أمثال هؤلاء المنافقين ، فلا عليه منهم ، لانه ليس مسئولا الا عن نفسه ... والامر من الله أن يقاتل فى سبيل اعلاء كلمة الله والحق ، ولو كان وحده لانه موعود بالنصر ـ ثم أمره الله أن يدع المؤمنين الذين صدقــوا ايمانهم أن يكونوا مع النبى ، وأن يأخذوا طريقه الذى أخذه ـ يدعوهم الى القتــال ويحثهم عليه ، لعل الله أن يدفع به وبهم شــدة الكافرين ـ وان كانوا أولى قوة وأولى بأس شديد ... فالنبى والمسلمين يشدون رجاءهم الى قوة

فوق هذه القوة ، والى بأس أعظم من هذا البأس ··· قــوة اللــه ، وبأس اللــه ··· واللــه أشد بأسا وأشــد تنكيلا ·

« من يشفع شفاعة حسنة يكن لــه نصيب منهـا ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا »(٨٥) ·

« واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا » (٨٦) ·

« الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا » (٨٧) ·

المعنــى : من يشفع الشفاعة الحسنة التى يوصل بها الخير الى من يستحق الخير ــ والتى لا تكون سببا فى ضرر برىء ، والتى لا تضيع حقا على صاحب حق ، والتى لا تعطل حدا من حدود الله والتى تنفع ولا تضر ، فان لصاحبها نصيبا طيبا من شفاعته ··· وأما الذى يشفع شفاعة سيئة تؤدى الى أكل مــال بالباطل ، أو تعويق صاحب مكان عن مكانه ، أو اهدار لحرمة من حرمات الله والناس ــ فان لصاحبهــا وزرا يحتمله من سيئته ــ والله سبحانه مقتدر على أن يذيق كل منهما مما كسبه ومما جنــاه ··· واذا حياكم أحد أيا كان بتحية من سلام ، أو دعــاء ، أو تكريم ، أو غيرهفردوا عليه باحسنمنها أوبمثلها ـوالله سبحانه وتعالى يقول : (هل جزاء الاحسان الا الاحسان)ومقابلة الاحسانبالاحسان ليست جزاء له ، وانما هى وفاء له ، والجزاء يكون بمقابلة الاحسان بما هو أحسن منــه ــ والله محاسب على كل شيء كبيرا كان أو صغيرا ــ

اللـه لا اله الا هو ، ولا سلطان لغيره ... لا شـك أنـه سيجمع الاولين الآخرين فى صعيد واحد ، فيجازى كل عامل بعمله ، وهو الذى يعد بالنصر فيتحقق ، ويعد بالجزاء فلا يخلف ، ولا أحد أصدق منه فى حديثه وخبره ، ووعده ووعيده ، فلا اله الا هو ولا رب سواه .

« ربع فمالكم فى المنافقين فئتين »

« فما لكم فى المنافقين فئتين واللـه أركسـهم بمـا كسبوا أتريدون أن تهدوا مـن أضـل الله ومن يضلل الله فلن تجـد له سـبيلا » (٨٨) .

المعنـى : نزلت هذه الآيات فـى طائفـة من المنافقـين ، تظاهروا بالاسلام ليدخلوا المدينـة ، ويقضـوا حاجاتهـم من المسلمين ، ثم خرجوا فارتدوا الى الكفار ـ وقد انقسم المسلمون فى الحكم عليهم الى فئتين : فئة تـرى أنهـم مسلمون باعلانهـم الاسلام ، وفئـة ترى أنهـم كافـرون بارتدادهم الى الكفار ـ فنزلت هذه الآيات ، تخبر المؤمنين بأنـه مـا كان يسوغ لهم أن يفترقوا فى أمر المنافقين الى فئتين ، ولم يتفقوا على تكفيرهم ـ والله قد ردهم الى حكم الكفرة بعد أن قلبت مداركهم بما اكتسبوا من أعمال جعلت الشر يتحكم فيهم ، بسبب ما كان منهم من مكر بآيات اللـه ، والتـواء على صراطه المستقيم ، وتلاعب بشرعه القويم ـ وما كان للمؤمنين أن يتوقعوا هداية من قـدر الله فى علمه الازلى أنه لن يهتدى ، فمن كتب فى علم الله الازلى ضلاله ، لن تجدوا طريقا لهدايته .

« ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا » (٨٩) .

« الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حصرت صدوركم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » (٩٠) .

« ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كل ماردوا الى الفتنة أركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولائكم جعلنا لكم غليهم سلطانا مبينا » (٩١) .

المعنى : انكم تودون هداية هؤلاء المنافقين ، وهم يودون أن تكفروا مثلهم فتكونوا متساويين فى الكفر معهم ، واذا كانوا كذلك فلا تتخذوا منهم نصراء لكم ، ولا تعتبروهم منكم ، ولا توالوهم ، ولا تأمنوا جانبهم ما داموا فى موقفهم هذا ــ فان تحولوا عن هذا الموقف ، وانحازوا اليكم وخالطوكم ، واستقاموا على طريقكم ، وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله ــ ان هم فعلوا ذلك كان لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ، فان أعرضوا عن ذلك وانضموا الى أعدائكم فاقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا لان العدو لا يكون وليا ، والشانىء لا يكون نصيرا ــ واستثنى الله سبحانه وتعالى من هؤلاء المنافقين الذين يستحقون

القتل فريقين — الفريق الاول هو الذى ارتبط بقوم أو لجأ الى قوم بينهم وبين المسلمين ميثاق ، أى عهد بالامان لهم ولمن وصل اليهم ، ويمنع قتل المنتمين لاحد الفريقين — لم يكن للمسلمين أن يمدو أيديهم بأذى الى هؤلاء المنافقين ، لانهم صاروا فى زمة تلك الجماعة التى وادعها المسلمون وسالموها ، وفى العدوان عليهم عدوان على تلك الجماعة ، ونقض للميثاق الذى عقده المسلمون معهم ، ووجب عليهم الوفاء به — والفريق الثانى — هم الذين جاءوا الى المسلمين وهم حصرت صدورهم — أى ضاقت صدورهم وانقبضت من الحصر لبغضهم ولكراهيتهم أن يقاتلوا المسلمين ، بل هم لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء أى لا للمسلمين ولا عليهم ، واختاروا الحياد ، لان هناك ملابسات تجعلهم يضيقون صدرا لقتال المسلمين أو قتال الآخرين ، الذين تربطهم بهم صلات الدم أو المصلحة — والفريق الاول استثناهم الله ومنع قتلهم لاجل الميثاق ، والفريق الثانى استثناهم الله ومنع قتلهم لانهم فى حرج — ولو شاء الله تسليطهم على المسلمين لسلطهم عليهم ، بأن قوى قلوبهم فقاتلوا المسلمين ولم يكفوا عنهم ولكن لم يشأ سبحانه وتعالى ذلك فألقى فى قلوبهم الرعب — فان اعتزلوكم ولم يتعرضوا لكم ، ولم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فانقادوا واستسلموا واختاروا الحياد والعزلة وعدم القتال ، وجنحوا الى السلم ، فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ، أن لا يجوز بعد هذا أن تمتد اليهم أيديكم بأذى لانه لا مسوغ لذلك ... ثم يخبر الله سبحانه وتعالى المسلمين عن منافقين آخرين يتظاهرون بالمودة للمسلمين حين يخالطوهم ، ويعلنون حقيقة نياتهم عندما يرجعون الى قومهم « كل

ما ردوا الى الفتنة أركسوا فيهــا) فهــم يظهرون الايمــان عند المسلمين ليأمنوهم ، ويرجعون الى كفرهم اذا عــادوا الى قومهــم ليأمنوهم ، وبذلك يأمنــوا جانب الفريقين ـ ويحققوا مصالحهم هنا وهناك ـ فاذا انتصر المسلمون على قومهم ، كانوا هم بمأمن مما يجرى على قومهم من حكم الاســلام فيهم ، من قتــل وسبى ، ومغنم ـ واذا انتصر قومهم كــان لهم من صلتهم بهم ، وقرابتهم لهم، ما يدفع عنهم بأسهم وضرهم ... فهذه الجماعة المنافقة ان لم تتحرر من نفاقها ، وان لم تقم أمرها على وجــه واحد معكم ، ويعتزلوا قتالكم ، ويعلنــوكم بالامن والســلام ، فاقتلوهم حيث وجدتموهم ، فقد أصبحوا عنصرا غير مأمون يجب القضاء عليه ، وقد جعل الله لكم عليهم برهانا بينا ظاهرا على قتلهم وسبيهم ، لغدرهم ، وخداعهم ، وتضليلهم .

« وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبــة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبــة من اللــه وكان اللــه عليما حكيما » (٩٢) .

« ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيهــا وغضب اللــه عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » (٩٣) .

المعنــى : يقول اللــه تعالى ليس لمؤمن أن يقتل أخاه المؤمن بوجه من الوجوه أو لسبب كائنا ما كان الا مخطئا فى قتله من غير

قصد ، لان دم المسلم على المسلم حرام ـ فالمبدأ فى حد ذاته منفى ومستبعد الا أن يقع ذلك عن خطأ ـ والجزاء فى هذه الحالة ، عتق رقبة مؤمنة وفدية تقدم الى أهل القتيل ، أو الفدية وحدها ـ وأمامنا فى هذه الآية ثلاث حالات ـ الحالة الاولى ـ أن يقع الخطأ على مؤمن أهله مؤمنون ··· ويجب عندئذ تحرير رقبة مؤمنة ودية تسلم الى أهله ··· فأما تحرير الرقبة المؤمنة ، فهو اشارة الى احياء نفس أمانتها العبودية ، وأزهق روحها الاستعباد ، وفى هذا حياة نفس مؤمنة ـ وكأن القتيل قد عاد فى شخص هذا الانسان المستعبد ، الذى ولد ميلادا جديدا بعنقه وتحرير رقبته ··· وأما الدية فتسكين لثائرة النفوس ، وشراء لخواطر الاهل المفجوعين ، وتعويض لهم عن شىء مما فقدوا ، ما دام رد الحياة نفسها مستحيلا ··· وقوله تعالى (ألا أن يصدقوا) دعوة كريمة من رب كريم الى أولياء الدم أن يعفوا ويصفحوا ، وأن يتصدقوا بهذا الحق الذى لهم فى مال القاتل على القاتل ··· وحسبه ما وقع فى نفسه من ألم وحسرة ، لما جنت يده المخطئة عليه ، بقتل نفس مؤمنة لم يرد بها شرا،ولم يضمر لها سوءا أما الحالة الثانية ـ أن يقع القتل الخطأ على مؤمن أهله كفار معادون للمسلمين ، ففى هذه الحالة لا دية ـ لانه لا يجوز أن يدفع المسلمون مالهم لعدوهم ليحاربهم به ، ويتقوى عليهم بسببه ـ ولكن تحرير رقبة مؤمنة تعويضا للحياة وللمؤمنين عن ذلك القتيل والحالة الثالثة ـ أن يقع القتل الخطأ على فرد من قوم معاهدين أو ذميين معصومى الدم بحكم ما بينهم وبين المسلمين من ميثاق ، ولم تذكر الآية ان كان

مؤمنا أو غير مؤمن مما يشعر بأن الميثاق يسوى بـين الجميع فى الدية والفدية حتى ولو كان الميثاق مع من لـم يدخلوا فى دين اللـه وهذه قمـة فى رعاية العهد والميثـاق ... فمن لم يجد رقبة يعتقها ودية يدفعها فعليه صيام شهرين متتابعين لاجل التوبة المتنزلة عليه من اللـه ، والرحمة به من أن يقتل نفسه أسـفا وندما ، ... اذ علم اللـه أنـه لـم يعمد الى القتل ، واقتضت حكمته تعالى أن يرحم هذا القاتل ، ويجعل له من همه فرجا ، ومن ضيقه مخرجا .

أما من يقتل مؤمنا متعمـدا مستحلا ذلك القتـل ، فلا يقبل منـه تحرير رقبة ، ولا دية ، ولا صيام ، لان فعلته تلك أكبر من أن يكون فى هذه الدنيا ما يقدم لهـا ، ويسوى حسابها ، وليس غير العذاب مصحوبا بغضب الله ولعنته ـ ليس غير هـذا جـزاء وفاقا لهذا الجرم العظيم ... وعلى قدر مـا كانت رحمة اللـه وعفوه عن القاتل الخطأ ، بقدر ما كانت نقمة اللـه ، وغضبه ، ولعنته على القاتل عمدا .

« يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل اللـه فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان اللـه كان بما تعملون خبيرا » (٩٤) .

المعنـى : يا أيها المؤمنون اذا سـافرتم لتجاهدوا فى سبيل اللـه فتثبتوا من أمر من تشتبهون فى اسـلامهم ، ولا تباغتوهم

القتال لئلا يكونوا من اخوانكم المسلمين ، ولا تقولوا لمن حياكم بتحية الاسلام لست مؤمنا ، توسلا بذلك لمقاتلته وغنيمة أمواله ، تطلبون بذلك الحصول على حطام الدنيا ، وهذا لا يجوز للمؤمنين أن يدخلوه فى حسابهم اذا خرجوا فى سبيل الله، لانه ليس الدافع الى الجهاد ولا الباعث عليه ... والله سبحانه وتعالى يذكر المؤمنين ويمن عليهم أن طهر نفوسهم ورفع أهدافهم ، فلم يعودا يغزون ابتغاء عرض الحياة الدنيا كما كانوا من قبل فى جاهليتهم، لقد كانوا كذلك فمن الله عليهم ، ورفعهم ، وجعل جهادهم لمعان أرفع ، ولغايات أنبل ، وعند الله مغانم كثيرة من وجهها الحلال ، أكثر من مال الناس ، وأكثر مما فى ايدى الناس ... ويكرر الله سبحانه وتعالى دعوته للمؤمنين ، ليتأكدوا ، ويتثبتوا ، ويتبينوا من أمر هؤلاء الذين لم يتضح أمرهم من الاسلام وضوحا كاملا ، وأن على المؤمنين أن يحذروا أن يصيبوا قوما بجهالة ، فتكون عاقبتهم الحسرة والندامة ... والله سبحانه وتعالى عليم بكل شىء ... يعلم خبيئة النفس وبواعثها للعمل ، وغاياتها الدفينة التى لا تكشف عنها للناس ، وسيحاسب الجميع بمقتضى علمه .

« لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما » (٩٥) .

« درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما » (٩٦) .

المعنـى : يبين الله سبحانه وتعالى منازل المؤمنين المجاهدين في سبيل اللـه ـ فهناك مجـاهدين بأموالهم وأنفسهم ـ وهناك قاعدون لم يجاهدوا بأموالهـم وأنفسهم ـ وهنـاك بين هؤلاء وأولئك ـ مؤمنون لهم أعذار تحول بينهم وبين الجهـاد بالمـال أو بالنفس ٠٠٠ بأن كانوا فقراء أو كانوا ذوى عاهات ، تحجزهم عن حمل السيف ولقاء العدو وهؤلاء هم القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر ، الذين بين الله ما بينهم وبين المجاهدين فى سبيل اللـه بأموالهم وأنفسهم من تفاوت فى الفضل والمنزلة عند الله ـ فهؤلاء القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر الذين لم يكن لهم مال ينفقونه فى سبيل اللـه ، أو قدرة بدنية على الجهاد بأنفسهم فى سبيل اللـه ، قد وعدهم اللـه الحسنى كما وعد المجاهدين بأموالهم وأنفسهم لاستوائهما فى النيـة ، وفضـل المجـاهدين بأموالهم وأنفسهم عليهم درجة لزيادتهم عليهم بالمباشرة ٠٠٠ أما الذين آمنوا ولم يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، وبين أيديهم المال ، ومعهم الصحة والعافية ، ولكنهم آثروا السلامة والدعة ، وبخلوا بما آتاهم الله من فضله ، فضل اللـه عليهم المجاهدين تفضيلا كبيرا ، وجعل بينهم مدى بعيدا ، وفرقا شاسعا ، ودرجات كثيرة فى مقـام الاحسان ومغفرة من اللـه ورحمة ، وصلوا بهـا الى درجاتهم العالية ، ومنازلهم الخالدة وكان اللـه غفورا لاوليائه ، رحيمـا بأهل طاعتـه ٠

« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمـى أنفسهم قالوا فيـم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض اللـه واسعة

فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » (٩٧) ٠

« الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا » (٩٨) ٠

« فأولئك عسى اللـه أن يعفـو عنهـم وكان اللـه عفـوا غفـورا » (٩٩) ٠

المعنـى : ان الذين تتوفاهم الملائكة وهم ظالمـون لانفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفـرة واستكانوا للظلم يقع عليهم فلا يرفعونه ، ولا يهجـرون الارض التى تذيقهـم الظلم ٠٠٠ فقد ظلموا أنفسهم حين تركوا الظالمين يظلمونهم ،وظلموها مرة أخرى حين قبلوا لها هذا الهوان ، وأرخصوا ما أعز اللـه فى الانسان ، ولذلك تسألهم الملائكة فى استنكار وفى احتقـار ٠٠٠ فيم كنتم حتى ارتضيتم حياة الذل والهوان ؟ فيجيبون : كنا مستضعفين فى الارض يذلنا غيرنا ٠٠٠ وهذا اعتذار لا يقره الاسلام ، ولا يتفق مع روح القوة والاستعلاء التى يبثها فى النفوس ــ فيقولون لهم ألم تكن أرض اللـه واسعة فتهاجروا فيها بدل الذل الذى تقيمون فيه ؟ ٠٠٠ وهذا يعنى أن المؤمن لا يصبر أبدا على الظلم ولا على الذل ، ولا يقبلهمـا ، وان قبلهما ، وصبـر عليهما لم يكن من المؤمنين ــ لان المؤمن عزيز على اللـه ؛ كريم على اللـه ، والراضى بالظلم ، والصابر عليه ، والمستسيغ له ، لا عزة له ولا كرامة ٠٠٠ فمن وجد القدرة على الهجرة والفرار من وجه الظلم والبغى ، ولم يهاجر فهو آثم عند اللـه ، ومأواه جهنم وبئس المصـير ٠٠٠ الا المستضعفين حقا من عجزة الرجال ، الذين لا يملكون دفاعا ولا

يستطيعون هجـرة ، ومن النساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فهناك رجـاء فى عفو الله عنهم ، فهم معذورون ، مضطرون ، واللـه لا يؤاخـذ المضطـر ، والعفـو والمغفرة أقرب فى جانب الله من المؤاخذة والعقوبة ، لانه سبحانه وتعالى من شأنه العفو والغفران ٠

ربـع (ومن يهاجـــر)

« ومن يهاجر فى سبيل اللـه يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى اللـه ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما » (١٠٠) ٠

المعنـى : من يهاجر فى سبيل اللـه يجـد فـى الارض متحولا وسعة فى العيش ـ فلن تضيق به الارض ، ففيها متنفس ومنطلق ورحابة ، وما تضيق الارض فى وجه الانسان الا حين تضيق همته ، ويتقلص رجاؤه فى الله ، وتمسكه القيود والمخاوف فـى دار الهوان ، ومن يخرج من بيته مهاجرا الى اللـه ورسوله ، والى موطن الدولة العزيزة التى هى دولـة اللـه ورسـوله ، ثم يدركه الموت قبل أن يصل فقد ثبت أجـره ، وأصبـح فى ضمان اللـه ، واستحق المغفرة ورحمة اللـه ـ واللـه يدعوه الى احدى الحسنيين : اما حياة كريمة فى أرض طليقة واسعة ، واما أجر موفور ـ ومغفرة ورحمة ان أدركه الاجل فى الطريق ، مـا دام قد ألقى عن نفسه المخاوف والوساوس ، وهون على نفسه المتاعب والمصاعب ، وخرج من قفص الخوف الذى يمسك به حيث يفرط فى دينـه ، أو فى كرامته ، أو فى حقوقه ٠

« واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينــا » (١٠١) ٠

المعنــى : أباح اللــه سبحانه وتعالى للمهاجرين والمجاهدين فىسبيله أن يقصروا منالصلاة، اذا رأوا أنهم فىوجهعدو متربص بهم غفلة ، أو مترقب منهم خللا ، ليضرب ضربته ، وليبلغ مآربه ٠٠٠ وهذا من فضــل اللــه ورحمته بعبــاده ٠٠٠ فالمهاجــرين والمجاهدين فى سبيل اللــه فــى حاجــة الى صلة دائمــة بربهم تعينهم على ما هم فيه ٠٠٠ والصلاة هــى أقرب الصلات ، وهى التى يدعو القرآن الى الاستعانة بها على الشدائد والملمات ، ولذلك يجىء ذكرها هنا فى وقتها المناسب، وقت الحاجة اليها والاضطرار ــ فما أحوج الخائفين فى طريق المهجر والجهــاد ، الى أن تطمئن قلوبهم بذكر اللــه ، وما أحوجهم الى أن يلجأوا الى حمى الله ، فاذا ما أتم المهاجرون والمجــاهدون فى ســبيل اللــه الصلاة بقيامها وقعودها وركوعها وســجودها وعدد ركعاتهــا ، قد تعوقهم عن وجهتهــم ، حيث يفتنهم الذين كفــروا ، أو يمكنهم منهم وهــم راكعون أو ساجدون ــ فيأخذوهم ــ فرخص الله لهم أن يقصروا من الصلاة فالصلاة التى هى أربع ركعات يصلونها أثنين ٠٠٠ أما فى حالة مواجهة العدو ٠٠٠ فقد تكون باشارة ، أو ايماءة وقد تكون وقوفا من غير ركوع أو سجود ، وقد تكون على ظهر الفرس و نحوه ، والامر متروك لتقدير المجاهد وموقعه من العدو ٠٠٠ وهذا كله تنبيه للمؤمنين الى الخطر الذى يواجههم من أعدائهم

الكافرين ، وأن عليهم أن يأخذوا حذرهم منهم ، فهم العدو الذى لا تخفى عداوته ٠

« واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتات طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا » (١٠٢) ٠

المعنى : يبين الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية حكم الصلاة مع النبى صلى الله عليه وسلم فى ميدان القتال ٠٠٠ وانها لصلاة مراعى فيها الحذر والحيطة من مباغتة العدو ، وانتهاز الفرصة فى المسلمين ، وهم بين يدى الله فى الصلاة ـ فتلك فرصة للعدو ، لا يدعها تمر ، خاصة اذا ألقى المسلمون أسلحتهم ، وفرغوا للصلاة ، يؤدونها كاملة ، بركوعها وسجودها ، وعدد ركعاتها ٠٠٠ لهذا شرع الله لنبيه أن يصلى بالمسلمين على هذا الوجه الذى بينته الآية الكريمة ٠٠ واذا كنت فيهم فأممتهم فى الصلاة ، فلتقم طائفة منهم تصلى معك الركعة الاولى ومعها أسلحتها ـ على حين تقف طائفة أخرى بأسلحتها خلف هذه الطائفة مستعدة لكل مفاجأة ـ فاذا أتمت هذه الركعة ، فلتذهب وتأخذ مكان الحراسة ، وتستمر أنت فى صلاتك الركعة الثانية ، ولتأت الطائفة الثانية لتصلى معك هذه الركعة ـ فاذا سلمت ـ والصلاة

ركعتان لا أربع تبعا للسنة العامة فى السفر ـ جـاءت الطائفة الاولى فقضت الركعة الثانية التى فاتتها وسلمت ، وأخذت مكان الحراسة ، ثم جاءت الطائفة الثانية فقضت الركعـة الاولى التى فاتتها وسلمت ٠٠٠

والسياق يكشف عن حكم هذا الاختيار (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحـدة) ـ وهذه الرغبة فى نفوس الكفار تجـاه المسلمين دائمـة ، أثبتت السنون والقرون أنها حالة نفسية لا تتغير ٠٠٠ لذلك أوجب الله على المسلمين الحذر والاستعداد والتهيؤ (وخذوا حذركم) لتنفذوا مشيئة اللـه فيهم ٠٠٠ (ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم) أى لا اثم عليكم أن تسكنوا وتضعوا أسلحتكم ، اذا نزل مطر عاقكم عن القتال أو أصابكم بسببه أذى ، أو كنتم مرضى وفى حالة ضعف ، وذلك لتجديـد نشاطكـم ، واسترداد قوتـكم ، على أن تمسكوا دائما بيقظتكم وحيطتكم ، ون تأخذوا دائما حذركم ٠٠٠ والله أعد لاعدائكم الكافرين عقابا أليما فى الدنيا ، بتحقيق بعضه على أيديكم ، اذا اتبعتم النصيحة ، وكنتم دائمـا فى موقف الحـذر والقـوة والاستعداد ، وأعد لهم فى الآخرة عذابا ذا اهانة بالغة ، وذل لم يسبق له مثيل ٠

« فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا أطمانتم فاقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » (١٠٣) ٠

« ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمـون كما تالمون وترجون من اللـه ما لا يرجـون وكان اللـه عليما حكيمـا » (١٠٤) .

المعنـى : اذا أتممتم صلاة الحرب فـلا تنسوا ذكـر الله دائما ، فاذكروه قائمين محاربين ، واذكروه وانتـم قاعدون ، واذكروه وانتم نائمون ، فذكر الله فى جميع الاحوال لا يشغل القلب عنه حرب ولا كرب ، فهو سلاح المجاهد فى الحرب ، وهو ملاذه فى الكرب ، وبذكر الله تعالى تقوى القلوب ، وبه اطمئنانها (ألا بذكر اللـه تطمئن القلوب) ... فاذا ذهب الخوف وكان الاطمئنان فأقيموا الصلاة ، وأدوها كاملة تامة على أصولها المتبعة (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) أى فريضـة ذات وقت محدد لادائها ، موقوته بأوقاتها ، فاذا زالت أسباب الرخصة فى صفة من صفاتها عادت الى صفتها الدائمة المفروضة — (ولا تهنوا فى ابتغاء القوم) هذه دعوة من اللـه يستحث فيها عزائم المؤمنين ، ويوقظ مشاعرهم للجهـاد ، ويأمرهم ألا يضعفوا فى طلـب اعدائهـم الكافـرين ، بـل يجـدوا منهـم ويقاتلوهم ، ويقعدوا لهم كل مرصد ... والحرب بلا شك ألم ، فاذا كنتم تألمـون من جراحها وما يكون منها ، فانهم يألمون كما تألمـون ، وترجون من اللـه مـا لا يرجون ... فشتان مـا بينكم وبينهم ... فأنتـم تقاتلون وأنتم على شعور بأنكم ان كتب لكم النصر رجعتم بالسلامة والغنيمة ، وان كتب لكم الاستشهاد ظفرتم بما وعد الله للشهداء من رضوان ، وجنات لهم فيها نعيم مقيم — انها احدى الحسنيين

لكم : النصر أو الاستشهاد ... وليس لاعدائكم الا واحدة منها ـ وهى النصر أو الموت على الكفر ... فهم لا يطلبون الحق ولا يرجون عند الله شيئا ، وأنتم تطلبون الحق وترجون رضا الله والنعيم المقيم ـ والله عليم بأعمالكم وأعمالهم ، حكيم يجازى كلا بما يعمل .

« انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما » (١٠٥) .

« واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما » (١٠٦) .

« ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما » (١٠٧) .

« يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعلمون محيطا»(١٠٨)
« ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا » (١٠٩) .

المعنى : (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) فهو حق ، وتنزيله حق، وتتضمن الحق، وقد جاء مبينا للحق، وليحق الحق ـ جاء لتحكم به بين الناس بما أطلعك الله وعلمك ، فاحكم على حسب ما أراك الله (ولا تكن للخائنين خصيما) أى مجادلا عنهم ومدافعا ـ وقد خانوا أمانة الله باعتدائهم على الناس ، وخانوا أمانتك بعدم تصديقك واتباع أوامرك ، وخانوا أنفسهم فأوردوها

طريق المعصية ، وطريق الخيانة ــ وعند الحكم بين الناس أتجه الى الله ، وتذكر عظمته ، واطلب مغفرته ورحمته وما هممت به من ميل الى تصديق خائن وتكذيب برىء ، فان المغفرة والرحمة من شأنه سبحانه وتعالى ٠

ولا تدافع عن الذين يخونون ويبالغون فى اخفاء الخيانة فى أنفسهم ــ فان الله لا يحب من يكون من شأنه الخيانة وارتكاب الذنوب ــ (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله) فيجبنون عن مواجهة الناس بخيانتهم واثمهم ولا يخجلون من الله (وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول) وهى صورة زرية من جانب وداعية الى السخرية من جانب آخر ــ زرية بما فيها من ضعف والتواء وخوف من الناس ، وداعية الى السخرية بما فيها من غفلة عن رؤية الله لهم وهم يبيتون ما يبيتون من خيانة ومؤامرة ــ ولكن أين يذهب هؤلاء الذين أخفوا مكرهم السيء عن الناس ؟ انهم ان استخفوا من الناس فلن يستخفوا من الله ، الذى لا يخفى عليه شيء فى الارض ولا فى السماء ــ فهو سبحانه يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ٠٠٠ وعين الله لا تغفل ، وان ما بيتوه من سوء قد سجله الله عليهم ، وسيأخذهم به ، فكل ما يعلمونه محوط بعلمه وقدرته ٠ واذا كان هذا شأنهم ، وكان الله مطلعا على خياناتهم ومؤامراتهم ، فما جدوى أن يجادل عنهم فريق من المسلمين فى هذه الدنيا ؟ بل من يقبل أن يكون وليا عليهم وناصرا لهم أو محاميا لهم ؟ روى أن هذه الآيات نزلت فى رجل سرق درعا من بيت جاره ، فلما خاف أن تظهر عليه ، رمى بها فى دار

يهودى • فلما وجدت الدرع أنكر اليهودى أن يكون أخذها ، وجاء بشهود من اليهود على أن سارقها رماها بداره تخلصا منها ، فأعان قوم سارقها على اليهودى وجاءوا الى رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ــ يقنعونه بأن يحاج عن صاحبهم ويجادل ، أمام اتهـام اليهودى له ، فمال الرسول الى قولهم ــ لان ظاهر الامر يؤيدهم ــ فأطلعه الله على جلبة الامر ، وتدبير المدبرين ، ونهاه عن مخاصمة اليهودى ــ والمجادلة عن الخائنين ــ وأمره بالاستغفار ممـا كان منه من ميل ــ ومن عليه أن هـداه الى الحق ، وأبطـل اضلال المضلين •

« ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ، ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما » (١١٠) •

« ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيمـا » (١١١) •

« ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئـا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا » (١١٢) •

« ولولا فضل اللـه عليك ورحمتـه لهمت طائفـة منهم أن يضلوك وما يضلون الا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلـم وكان فضل الله عليك عظيما » (١١٣) •

المعنـى : يخبر تعالى عن كرمه وجوده أن كل من تاب اليه تاب عليه من أى ذنب كان ــ ويخبر عباده بعفوه وحلمه ، وسعة

رحمته ومغفرته ، فمن أذنب ذنبا صغيرا كان أو كبيرا ، ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ••• وكل انسان مأخوذ بما تكسب نفسه ، فلن ينفعه أن يجادل عنه أحد ، ولن يشاركه فى حمل وزره أحد مصداقا لقوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وكان الله عليما حكيما أى من علمه وحكمته ، وعدله ورحمته ، كان ذلك ••• ومن يرتكب أخطاء تحيط بنفسه وذنوبا ثم يتهم بها بريئا لم يرتكبها ، كمن سرق شيئا ويتهم غيره بسرقته فقد وقع عليه وزران ، أحدهما الكذب والافتراء باتهام الابرياء ، والثانى : الذنب الواضح البين •

ولولا أن الله تفضل عليك بالوحى ، ورحمك بالادراك النافذ ، ومن عليك بأن بين لك خبيئة الامر ، فلم يمكن المتآمرين ن يخدعوك عن الحق ، وأن يضلوك عن معرفة الحقيقة وعن تحقيق العدالة ، وهم فى الحقيقة لا يضلون الا أنفسهم ، لان الله مطلعك على ما يدبرون ، فلا ضرر عليك من تدبيرهم وتضليلهم ، وانما يضرون أنفسهم بتوريطها فى الذنوب ••• وقد أنزل الله عليك القرآن الكريم الذى هو ميزان الحق ، وأودع قلبك بالحكمة وعلمك من الشرائع والاحكام ما لم تعلمه الا بوحى منه ، وان فضل الله عليك عظيم دائما •

« ربع لا خير فى كثير من نجواهم »

« لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » (١١٤) •

« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » (١١٥) ٠

المعنى : يخبر الله تعالى أنه لا خير فى كثير من كلام الناس الذين يتناجون به ، فالذين يخفون أحاديث يحدثون بها أنفسهم ، أو يسرون بها فيما بينهم لا خير فى كثير منها ٠٠٠٠ لان الشر يفرخ فى الخفاء ٠٠٠ لكن التحدث والمناجاه للامر بصدقه يعطونها ، أو للعزم على القيام بأعمال صالحة يؤدونها ، أو تدبير اصلاح بين الناس يريدونه ـ فان ذلك خير ـ ومن يفعل ذلك طلبا لرضا الله سبحانه ، فله أجر عظيم عند الله وجزاء كبير لما قدمت يداه ٠ وأما الذين لا يبتغون مرضاة الله ، فيشاقون الرسول ويخالفونه ويغاضبونه ٠٢ ورضى الرسول من رضى الله ٠٠٠ وذلك بعد ما تبين لهم طريق والهداية ، ثم يتبعون طريقا غير طريق المؤمنين ، فوجههم الوجهة التى ارتضوها لانفسهم ، ثم ندخلهم نارا وما أقبحها مآلا ٠

« ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا » (١١٦) ٠

« ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا » (١١٧) ٠

«لعنة الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا» (١١٨)٠

« ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق اللـــه ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا » (١١٩) ٠

« يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا » (١٢٠) ٠

« أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا » (١٢١ ٠

المعنـــى : قضى الله سـبحانه وتعـالى بأن كل ذنب قـابل للغفران الا الشرك به ، أو انكار ألوهيته ـ وأنه سبحانه لا يغفر لمرتكب هذا الاثم اثمه ، ولا يناله برحمته ـ اذ أن هذا المشرك أو المنكر قد استخف بالله ، فلم يول وجهه اليه ، ولم يخلص قلبه له ، فكان جزاؤه أن يستخف الله به ، ولا يقيم له وزنا ـ وقوله تعالى : (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) هو استدعاء من اللـه سـبحانه وتعالى للعصاة والمذنبين من عباده الذين آمنوا بـه ، ليتعرضوا لواسع رحمته ، وعظيم فضله ، فانهم وقد آمنو به ، فقد دخلوا فى محتوى هذا النداء الكريم ، الذى نادى به عباده المؤمنين فى قوله : (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انـه هو الغفـور الرحيم) (٥٣ : الزمر) ٠٠٠ فما كان من الذنوب دون الشرك والكفر فهو فى ساحة رحمة الله ، وفى معرض غفرانه ٠٠٠ أما من يشرك بالله عن طريق الحق والسلامة ٠٠٠ وان من أظهر مظاهر الضلال الذى فقد تاه عن الحق وبعد عنه كثيرا ، ولن يزيده المضـى فى شركه وكفره الا امعانا فى الضلال ، وشرودا عن طريق النجاة ، وبعدا بعد عن الحق بهذا الذى أشرك بالله ، أنه يعبد مـا لا يسمع ولا

يبصر ، ولا ينفع ولا يضر ، ولا يملك من أمر وجوده شيئا ، فكيف يراد منه الخير لغيره ؟ أو يرجى منه العـون لمن يقـوم على أمره ويحفظ وجوده ! ! انه سفه ليس وراءه سفه ، وضلال ليس بعده ضلال ــ والادهى من ذلك أن يسمى آلهته الباطلة بأسماء الاناث ، كاللات ، والعزى ، ومناة ، وغيرها من الاسماء المؤنثـة ــ وانه يتبع بهذه العبادة الشيطان ، الذى يستمد منه هذا الضلال ٠٠٠ وذلك الشيطان لعنه الله ، وطـرده من رحمته ، وجعله فى ظل غوايته ــ وقد توعد جزاء طرده ، وأقسم وأخذ على نفسه عهـدا أن يتخذ من عباد الله عددا معلوما مقدرا ، يستهويهم بغوايته ، ويوسوس لهم بشره ، ويضلهم عن الهدى ، ويمنيهم السعادة ، أو اللذة ، أو المغفرة فى الطريق الذى يحدوهم اليه ٠٠٠ وتلك بعض أشكال الغواية التى يدفع الشيطان اليها حزبه ــ فلأضلنهم وألقى فى قلوبهم طول الحياة أن لا بعث ولا حساب ، وألقيهم فى مهاوى الضلال والظـلام ، ولامنينهم وأجعلهم يتيهون فى أمانـى كاذبة وأوهـام ، ولاجعلنهم يتمنون مالا ينـال ــ ولاحملنهم على شق آذان الانعام ، واعتبارها هبة للاصنام ــ ولآمرنهم بتغيير خلق الله بالوشم وخصى الارقاء ، وتحريم ما أحل الله واحلال ما حرم الله ــ وبعد هذه الصورة الشنعاء ، من يتخذ الشيطان وليـا له ونصيرا فقد خسر خسرانا مبينا ــ حقا ليس بعد خسرانه خسران ولا وراء ضياعه ضياع ٠٠٠ يزين لهم الشر ، ويعدهم النفع اذا فعلوه ، ويلقى فى نفوسهم بأمانى يتمنونها ، انها ليست الا أمانى باطلة ، وسرابا خادعا ٠٠٠ وان الذين ألغوا عقولهم واتبعـوا

وساوس الشيطان فى نفوسهم ، مأواهم جهنم ولا يجـدون عنها محيصا ، فتلك عاقبة الظالمين الغاوين ، مصيرهم جهنم وساءت مصيرا ، لا متحول لهم عنها ، ولا افلات لهم منها .

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتهـا الانهـار خالدين فيهـا ابـدا وعـدا للـه حقـا ومـن أصـدق مـن اللـه قيـلا » (١٢٢) .

« ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا » (١٢٣) .

« ومن يعمل من الصالحـات من ذكـر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » (١٢٤) .

« ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا » (١٢٥ .

« ولله ما فى السموات وما فى الارض وكان الله بكل شيء محيطا » (١٢٦) .

المعنـى : بعد ما ذكـر الله حـال التعساء ، الذين ألغوا عقولهم ، واتبعوا وساوس الشيطان فى نفوسهم ، وكان مصيرهم جهنم .. ذكر حال السعداء ومالهم من الكرامة التامة ــ وهم الذين آمنوا بالله ورسوله ، وعملوا الصالحات ــ أى صدقت قلوبهم ، وعملت جوارحهم بما أمروا به من الخيرات ، وتركوا ما نهوا عنه من المنكرات ، ولم يسيروا وراء أوهام كاذبـة ــ فان اللـه تعالى سيدخلهم جنات تجرى من تحت ظلالها الانهار (خالدين فيها أبدا)

أى بلا زوال ولا انتقال ، وذلك مؤكد لانه وعد الله — ووعد الله لا يكون الا حقا ، لا غرور فيه ، لا كوعد الشيطان الذى كله غرور وسراب ، وأمانى كاذبة وخداع — وشتان بين من يثق بالله ، ومن يثق بالشيطان ... (ومن أصدق من الله قيلا) فهو مالك كل شيء ولا يتصور أن يكون أحد فى الوجود أصدق من الله وعدا وقولا — وحاش لله أن يخلف وعده ، فان خلف الوعد لا يكون الا عن عجز وضعف ، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وقوله تعالى : (ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب) رد على أولئك الذين يتمنون على الله الامانى دون عمل — فالامانى التى لا ترتبط بعمل ، ولا تتجه الى هدف ، هى اباطيل واضاليل ، واوهام واضغاث احلام ، لا يمسك منها صاحبها الا سرابا ، ولا يجنى منها الى حسرة وندما .

فالايمان فى حقيقته ، قول وعمل ، معتقد ومسلك ... فمن لم يحقق الايمان على هذا الوجه فليس مؤمنا ، وليس له أن ينال شيئا مما أعد الله للمؤمنين ولذلك يخاطب الله المؤمنين بقوله — ليس الجزاء بما تتمنون أيها المؤمنون ، ولا بما يتمناه ويحلم به أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وانما الجزاء والنجاة من العذاب بالايمان والعمل الصالح .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال فى هذه الآية ... تخاصم أهل الاديان ... فقال أهل التوراه ، كتابنا خير الكتب وهو قبل كتابكم ، ونبينا خير الانبياء وهو قبل نبيكم — وقال أهل الانجيل مثل ذلك — وقال أهل الاسلام ، لا دين الا

الاسلام وكتابنا نسخ كل كتاب ، ونبينا خاتم الانبياء ، وأمرتم وأمرنا أن نؤمن بكتابكم ونعمل بكتابنا ··· فقضى الله بينهم بقوله : (ليس بأمانيكم ولا أمـانى أهـل الكتاب من يعمل سوءا يجـز به) وقيل بعد نزول هذه الآية أن أبا بكر رضى الله عنه قال يا رسول الله كيف العلاج بعد هذه الآية التى قصمت ظهرى ـ وأينا لم يعمل السوء وانا لمجزيون بكل سوء عملناه ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض ؟ ألست تغضب ؟ ألست تحزن ؟ قال بلى يا رسول الله قال فهو مما تجزون به ··· فالامراض ، والمصائب ، والاحزان فى الدنيا جزاء ··· وأنت يا أبا بكر وأصحابك المؤمنون فانكم تجزون بذلك فى الدنيا حتى تلقوا ربكم ليس لكم ذنب ، وأما الآخرون فيجمع الله ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة والذين يعملون الاعمال الصالحة بالقدر الذى يستطيعونه وهـم مؤمنون باللـه ورسوله ، ولم يفتنهم الشيطان ، ولم يفرقهم فى الامانى الباطلة ، بل آمنوا ثم حولوا هذا الايمان الى سلوك وعمل ، فكان لهم من الله هذا الجزاء الحسن ··· يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ـ والنقير : (النقرة فى ظهر النواة ، ومنها ينبت أصل النخلة) أى يدخلون جنة النعيم ، ويستوفون حقهم كاملا ، ولا ينقصون أى مقدار ولو كان ضئيلا ·

ولا أحد أحسن دينا ممن أخلص نفسـه للـه ، فجعل وجهه وعقله ونفسه للـه ، لا يطلب سوى رضاه ، وخلص ذاته من أسر الاوهام والاباطيل ، وأحسن فى عمله واتبع الدين الاصيل ، وهو

الاسلام دين أبى الانبياء ابراهيم الحنيف ، الذى أخبر الله تعالى عنه بقوله (ان ابراهيم كان أمة قانتا للـه حنيفا ولم يكن من المشركين (١٢٠ ـ النحل) ـ أى كان اماما يقتدى به حيث وصل الى غاية ما يتقرب به العباد له ، فانتهى الى درجة الخلة ، التى هى أرفع درجات المحبة ، وما ذاك الا لكثرة طاعته لربه ، كما وصفه بقوله (وابراهيم الذى وفى) الذى قام بجميع ما أمر الله به ، فاتخذه الله ، خليلا ، أى لازم هذه المخالة ، وهى اضفاء الاحسان ، والرحمة ، والقرب ، والرضوان من جانب الله تعالى على ابراهيم، وهذا لطف من الله ، وتكريم لهذا النبى الكريم ، وتلك منزلة عليا من منازل القرب من الله لا تكاد تدانيها منزلة ·

وقوله تعالى : (ولله ما فى السموات وما فى الأرض وكان الله بكل شىء محيطـا) استعراض لعظمة اللـه ، وسعة ملكه ، ومقدار سلطانه ، الذى يشمل كل شىء ، وينفـذ الى كل شىء ـ والجميع ملكه وعبيده وخلقه ، وهو المتصرف فى جميع ذلك ، لا راد لمـا قضى ، ولا معقب لمـا حكم ، ولا يسأل عما يفعل ، لعظمته، وقدرته ، وعدله ، وحكمته ، ولطفه ، ورحمته ـ ومن كان هذا شأنه ، وتلك صفته ، فانه من السفه والضلال أن يولى الانسان وجهه الى غيره ، أو يعبد معبودا سواه ·

« ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامـى النساء اللاتـى لا تؤتونهن مـا كتب لهن وترغبـون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقومـوا

اليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان اللـه كان به عليما » (١٢٧) .

« وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان اللـه كان بما تعملون خبيرا » (١٢٨) .

« ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وأن تصلحوا وتتقوا فان اللـه كان غفورا رحيما » (١٢٩) .

« وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما » (١٣٠) .

المعنى : يستفتى الناس النبى صلى اللـه عليه وسلم فى شأن النساء ، فقال اللـه تعالى : (قل الله يفتيكم فيهن) أى أن الله سبحانه وتعالى هو الذى سيتولى بيان ما تسألون عنه ويفتيكم فيما يتلى عليكم من الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتوهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان ـ ولقد سبق أن أوصى الله سبحانه وتعالى بهؤلاء النساء وهؤلاء اليتامى فى أول هذه السورة فى قوله (ان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعدلوا) ولكنهم لم يرعوا ما وصاهم الله بـه ، فكيف يستفتون النبى فى شـأن

النساء ، وبين أيديهم آمر من أمر الله فى شأنهن ولم يعملوا به ؟ — فلا يزال الوضع السىء لليتيمات عندهن كما كان من قبل أن يوصى الله بهن بما أوصى فى أول السورة ، وهو أنهم كانوا ينكحوهن من غير أن يؤدوا ما فرض الله لهن من مهر ، أو يمسكونهن عند الزواج اذا لم يكن لهم فيهن رغبة ، ليحتفظوا فى أيديهم بالمال الذى لهن ، وقد نهاهم الله سبحانه وتعالى عن هذا ٠٠ وقد أوصى سبحانه وتعالى بالمستضعفين من الولدان فى أول السورة كذلك فى قوله (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا — ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) (٩ — ١٠ : النساء) فأمر الله بالرفق بهم ، والاحسان اليهم ، وحسن القيام عليهم ٠٠٠ كما حث على فعل الخير ، والاحسان عامة ، وفى اليتامى خاصة ٠ واذا خافت الزوجة من زوجها اهمالا لشئون الاسرة ، أو توقعت منه نشوزا أى ترفعا عليها بترك مضاجعتها ، لبغضها وطموح عينه الى أجمل منها ، أو اعراضا عنها وعدم الاقبال عليها ، وخشيت أن تصبح مجفوة ، وأن تؤدى هذه الجفوة الى الفراق — فليس هناك من حرج أن تتراضى هى وزوجها على أن تتنازل له عن شىء من فرائضها المالية ، أو الحيوية تجاهه ٠٠٠ فقد يكون فى يد الزوجة ما يمكن أن تترضى به الزوج من مال ، وأنه فى هذه الحالة لا بأس أن تقدم الزوجة للزوج بعض ما كان يطمع فيه من مالها ، الذى ربما كان حرمانه منه سببا فى اعراضه عنها ٠٠٠ كما يمكن أن تتنزل للزوج عن بعض حقوقها الزوجية ، كالتسوية فى القسمة بينها

وبين بعض زوجاته اللاتى يؤثرهن عليها بحبه ومودته ، فترضى منه ببعض هذا الحق ـ وقد حدث ذلك لما كبرت سوده بنت زمعة ، عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فراقها فصالحته على أن يمسكها وتترك يومها لعائشة ، فقبل ذلك منها ، وأبقاها على ذلك ـ ولا اثم عليها فى أن يحاولا اصلاح ما بينهما بالصلح الجميل والتقريب ـ والعاقل منهما يبدأ به ، فالصلح خير دائما لا شر فيه ، فهو خير على أى حال لكل من الزوج والزوجة ـ اذ أبقيا على رابطة مقدسة بينهما ـ كان فى قطعها قطع لما أمر الله به أن يوصل ـ فالطلاق بغيض الى الله كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام (أبغض الحلال الى الله الطلاق) ـ والذى يمنع الصلح عادة هو تمسك كل من الزوجين بحقوقه كاملة ، اذ يسيطر الشح النفسى فى هذه الحالة ، ولذلك يقول الله تعالى : (وأحضرت الانفس الشح) أى شدة البخل التى جبلت عليه فكأنها حاضرته لا تغيب عنه ، ولا ينهى هذه الحالة الا اذا كان هناك وازع من دين أو خلق ، فهذا كفيل بأن يجمعهما على التسامح ، والصفح ، والوفاق ، ومن يعمل الحسن ، ويتق الله فان الله خبير بعمله ويجزيه عليه أوفر الجزاء ٠

ولن تستطيعوا أن تكونوا على العدل الكامل بين النساء ولو أفرطتم فى تحريه ـ فذلك أمر فوق مقدور البشر ، اذ كان الحكم فيه للقلب ولا سلطان للانسان على قلبه ـ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب عائشة رضى الله عنها وأرضاها أكثر من نسائه ، وكان يقسم بين نسائه ويعدل ، ثم يقول متوجها الى ربه

فى قسمته وعدله بين نسائه (اللهم هذا قسمى فيمـا أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك) ··· وقوله تعالى (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) أى من كان عنده أكثر من زوجة وحرص على العدل بينهن ، فلا يجور ويميل كل الميل الى احداهن ويترك الاخرى معلقة ــ لا هى ذات زوج ، ولا هى مطلقة ··· بل يجب أن يصلح نفسه ، ويقيم الاسرة على الصلاح من غير فساد ــ فان أصلح أموره ، وقسم بالعدل فيما يملك ، واتقى الله فى جميع أحواله ، غفر الله له ما كان من ميل الى بعض النساء دون بعض وغمره برحمته ·

واذا لم يمكن الاصلاح ، واستحكمت الثغرة ، فان التفريق لازم ، وان يتفرقا يغن اللـه كل واحـد منهما من سـعة رحمته وفضله ، فيغنيه عنها بأن يعوضه من هو خير منها ، ويغنيها عنه بأن يعوضها بمن هو خير لها منه (وكان الله واسعا حكيما) أى واسع الرحمة والفضل ، عظيم المن ، حكيما فـى جميع أقواله ، وأقداره ، وشرعه فيما دبره لخلقه ·

« ولله ما فى السموات وما فى الارض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا اللـه وان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الارض وكان الله غنيا حميدا »(١٣١)

« ولله ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا » (١٣٢) ·

« أن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا » (١٣٣) .

« من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا » (١٣٤) .

المعنى : يخبر تعالى أنه مالك السموات والارض وأنه الحاكم فيهما ، فهو منشىء الكون ، والكل صنعة يده ، وحوزة ملكه ، وخاضع لقدرته وسلطانه ـ وبهذا السلطان المطلق قال ولقد وصينا الذين أوتو الكتاب من قبلكم وهم اليهود والنصارى واياكم يا أهل القرآن أن اتقوا الله ، أى خافوه واعبدوه ، وأطيعوه ولا تعصوه ، وآمنوا به ايمانا صحيحا ، غير مشوب بشرك أو ضلال ـ وان تكفروا فان الله سبحانه وتعالى غنى عن خلقه ، لا ينفعه ايمان المؤمنين ، ولا يضره كفر الكافرين ، وانما يعود نفع الايمان أولا وآخرا الى صاحبه ، كما يعود ضرر الكفر أولا وآخرا الى صاحبه ـ كما قال تعالى : (من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون) (٤٤ : الروم) أى فلأنفسهم يصلحون الطريق الذى يصلهم بالله ويوصلهم الى مرضاته ونعيم جناته ـ ولله سبحانه وتعالى تدبير كل ما فى السموات والارض ، فهو المسيطر والمسير ، والمدبر ، وكفى أن يكون هو المتولى أمر الكون لينتظم وأمر الناس ليعبدوه ، ويفوضوا أمورهم اليه ، ويتقوه .

وقوله سبحانه : (أن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين

وكان الله على ذلك قديرا) هو تذكير لعظمة الله وقدرته ، وان الجميع تحت قهره وسلطانه ، أن يشأ يمتهم ويأت بغيرهم ، وذلك على الله يسير لانه على كل شيء قدير (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) (٨٢ : يس) ·

وان الناس اذا طلبوا نعيم الدنيا ومنافعها الحلال من طريق الحق المستقيم ، فان الله يعطيهم نعيم الدنيا والآخرة وهو وحده الذى يملك النعيمين (وكان الله سميعا بصيرا) أى أنه سبحانه وتعالى مطلع على أعمال العباد ، يسمع ما يقولون ، ويبصر ما يعملون فما كان من أعمالهم وأقوالهم خالصا للدنيا وحدها ، فقد استوفوا حظهم منه ، و لانصيب لهم فى الآخرة — ··· وما كان منها للدنيا والآخرة معا ، كان لهم منه نصيب فى الدنيا وفى الآخرة ··· أما نصيب الدنيا فقد استوفوه وهم فيها ، وأما نصيب الآخرة فهو مدخر لهم عند الله يجزون به يوم لقياه ·

« ربع يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط »

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا » (١٣٥) ·

المعنى : يأمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط ، أى مواظبين على العدل ، مجتهدين فى اقامته ، متعاونين متناصرين فيه ، فلا يعدلوا عنه يمينا ولا شمالا ، ولا

تأخذهم فى الله لومة لائم ، ولا يصرفهم عنه صارف ··· وأن يكونوا (شهداء لله) ··· فهى اذن حسبة لوجه الله ، لا لحساب أحد من المشهود عليهم ، أو المشهود لهم ، وهى اذن تجرد لله من كل ميل ، ومن كل هوى ، ومن كل مصلحة ، على هذا النحو فقد خلصت من كل تأثير ··· (ولو على أنفسكم) أى ولو كانت الشهادة تدين أنفسكم وتلحق الضرر بكم ـ فحق الله عليكم أوجب من حق أنفسكم ان كنتم تؤمنون بالله ، وتؤثرون مرضاته ـ والله سبحانه وتعالى يجعل لمن أطاعه فرجا ومخرجا من كل أمر يضيق عليه ـ (أو الوالدين والاقربين) أى ان كانت الشهادة على والديكم وقرابتكم فلا تراعوهم فيها ، بل اشهدوا بالحق ولا تكتموها ، وان عاد الضرر عليهم ··· (ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما) ··· وان يكن المشهود عليه غنيا أو فقيرا ، فلا تمتنعوا عن أداء الشهادة ميلا الى هذا لغناه ، ولا رحمة بهذا لفقره ، فالله يتولاهما ، بل هو أولى بهما منكم ، وأعلم بما فيه صلاحهما ـ اذ لو شاء لافقر الغنى ، ولأغنى الفقير ، أو شاء لاغناهما جميعا ، ولافقرهما معا ····

··· (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) ··· أى فلا يحملنكم الهوى والعصبية وبغض الناس اليكم على ترك العدل فى أموركم وشئونكم ، بل الزموا العدل على أى حال كان كما قال تعالى : (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى) ·· (وأن تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) أى أن تلووا ألسنتكم لاخفاء معالم الحق وتحريف الشهادة وتغييرها ،

أو تمتنعوا عن أدائها ، وتتعمدوا كتمانها ، فان اللـه خبير بما تعملونه ، وسيجازيكم عليه بما أنتم أهله ·

« يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا » (١٣٦) ·

المعنـى : هذا نداء من الله الى من دخلـوا فى الايمان ، وحسبوا من المؤمنين ··· ولكى يكونوا مؤمنين حقا ينبغى أن يكون ايمانهم قائما على الحقائق الآتية :

أولها : الايمان بالله ··· فهو ركيزة الايمان ، ودعامته ·

ثانيها : الايمان برسوله ، محمد صلى الله عليه وسلم ، وبالكتاب الذى نزل عليه وهو القرآن ·

ثالثها : الايمان بالكتب السماوية المنزلة من قبل ، وبرسل الله جميعا ·

ورابعها: الايمان بالملائكة ، وأنهم خلق الله ، وجند من جنده ·

وخامسها: الايمان باليوم الآخـر ··· أى بالبعث والجـزاء ، والجنة والنار ···

فمن آمن على هذا الايمان ، فهو مؤمن حقا ، وعليه أن يعمل عمل المؤمنين ، وله أن يجازى جزاء المحسنين ··· أمـا من كفر بكل هذا أو بعضه ـ لان الايمان كل لا يتجزأ كما قال تعالى : (ان

الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفــر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ـ أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) (١٥٠ ـ ١٥١ : النساء) ـ فقد ضل ضلالا بعيدا عن الغاية التى يجب أن يصل اليها الانسان من الكمال ، وبعد عن القصد كل البعد ، وخرج عن طريق الهدى ، فــلا ترجى منه أو به ، ولا تنتظر بمده هداية لانه بعيد موغل فى التيه والظلام ٠

« ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا » (١٣٧) ٠

« بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما » (١٣٨) ٠

« الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا » (١٣٩) ٠

المعنــى : يخبر الله تعالى عمن دخل فى الايمان ، ثم رجع الى الكفر ، ثم عاد الى الايمان ، ثم رجع الى الكفر ، واستمر على ضلاله ، وتمادى فى كفره وازداد حتى مات ـ فانه لا توبة بعد موته ، ولا يغفر الله له ، ولا يجعل له مما فيه فرجا ، ولا مخرجا ، ولا طريقا الى الهدى ـ لان غفران الله يقتضى توبة واقلاعا عن الشر ، وهدايته تكون لمن يتوجهون الى الحق ويطلبونه ٠

وهذه الآية الكريمة تكشف عن طبيعــة الصراع بين الخير والشر ، وأن داعى الشر فى الانسان أكثر الحاحا من داعى الخير ، اذ كان مع الشر قوى خفية فى الانسان تميل اليه ، وتنتصر له ،

وهى أهواء النفس ، ووساوس الشيطان ... فاذا لم لم يتنبه الانسان الى هذا الخطر الكامن فى كيانه ، واذا لم يقم على أهوائه حارسا من عقله وارادته ، ووازعا من دينه وخلقه ـ تسلط لشر عليه ، واستبد به ، وملك أمره ـ والمنافقون من هذه الصفة ـ تسلط الشر عليهم ، واستبد بهم ، وملك أمرهم ـ لانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم ـ ولذلك يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم أن ينذر المنافقين بأن لهم عذابا أليما .

ان هؤلاء المنافقين يجعلون الولاية عليهم للكافرين ويتركون المؤمنين ، ويتخذون الكافرين أصدقاء ونصراء من دون المؤمنين ، ويريدون أن يتعلقوا بحبالهم ، وأن يستظلوا بظلهم وأن يستندوا اليهم وأن يحتموا بجبهتهم ، لاعتقادهم أن جانب الكافرين هو القوى ، بما فيهم من كثرة عدد ، ومن سعة غنى ، على حين كان المؤمنون فى قلة من الرجال والاموال ـ فهل يطلبون العزة من هؤلاء الكافرين ؟ ان العزة لله وحده يعطيها عباده المؤمنين ... ومن اعتز بالله عز ، ومن اعتز بغير الله ذل ـ (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) (٨ : المنافقون).

« وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا » (١٤٠) .

« الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامه ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » (١٤١) •

« ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا » (١٤٢) •

« مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا » (١٤٣) •

المعنى : وقد نزل الله عليكم فى القرآن الكريم أنكم كلما سمعتم آية من كتاب الله كان منكم الايمان ، وكان من الكافرين الجحود والاستهزاء — واذا كانت تلك حال الكافرين والمنافقين ، وسمعتم استهزاءهم ، فلا تقعدوا معهم حتى ينتقلوا الى حديث آخر غير حديث الاستهزاء — وانكم ان لم تفعلوا وسمعتم استهزاءهم ، وسكتم وتغاضيتم ، كنتم اذا مثلهم فى الاثم والاستهزاء — وان العاقبة وخيمة على الكافرين والمنافقين ، فان الله جامعهم جميعا فى جهنم يوم القيامة ، كما اجتمعوا فى الدنيا على الكفر والاستهزاء •

للمنافقين سمات معروفة ، منها أنهم يريدون دائما امساك العصا من وسطها ، وذلك بالزلفى للمؤمنين ولاعدائهم ، حسب مقتضيات الموقف ، وايهام هؤلاء وهؤلاء أن لهم دورا ايجابيا ،

ونفعا واقعيا ، فلا يحسن الاستغناء عن خدماتهم ، ولا اهمالهم ، أو معاداتهم ... فهم ينتظرون وقوع أمر بكم انتظار الحاقد الحانق الذى يتمنى السوء لكم ، اذا كنتم فى حرب مع أعدائكم.. فان كان لكم نصر من الله ، وفتح لطريق الحق ، قالوا لكم وقد أذهلهم النصر الذى نصر الله به أهل الايمان : ألم نكن معكم على الحق والايمان ؟ ، وفى الدين والجهاد ؟ ، فأعطونا مما غنمتموه ... وان كان للكافرين نصيب من النصر : قالوا ألم نستول عليكم فى المعركة ونملك أمركم ؟ ولكنا تخاذلنا وأرخينا أيدينا عنكم ، فتخاذل المسلمون وانهزموا — ولولا أننا لم نفعل ذلك لدارت الدائرة عليكم — فنحن شركاؤكم فى هذا النصر الذى كان لكم ، بل الذى نحن صانعوه لكم ! ! فأشركونا فيما أصبتموه ، وهكذا يأكلون على المائدتين ، ويخادعون الفريقين ... والله سبحانه وتعالى يحكم بينكم وبين هؤلاء المنافقين يوم القيامة ، بأن يدخلكم الجنة ويدخلهم جهنم ، فهذا جزاؤهم فى الآخرة ، وأما جزاؤهم فى الدنيا فقد وعد الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين اذا صدق ايمانهم ، ألا تكون للكافرين يد عليهم ، بل أن يد المؤمنين هى العليا دائما ، ويد الكافرين هى السفلى أبدا ... ان المنافقين بنفاقهم يحسبون أنهم يخادعون الله تعالى ، باظهارهم خلاف ما أبطنوه من الكفر ، ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ، والله سبحانه وتعالى خادعهم ... وخداع الله لهم أن يمهلهم ، ويتركهم يرتعون فى شرهم ، ثم يفسد عليهم تدبيرهم باطلاع نبيه على باطنهم ، ثم يأخذهم بجريرتهم فيعاقبهم فى آخرتهم (ولا يحيق المكر السىء الا بأهله)

(٤٣ : فاطـر) وان لهؤلاء المنافقين مظهـرا حسيا ، ومظهـرا نفسيا ــ فالحسى انهم يقومون الى الصـلاة وهم كسـالى متباطئين كارهين ــ لانهم لا يريدون الصلاة للصلاة ، ولا يؤدونها أداء لحق الله ، وشكرا لنعمائه ، وإنما هم يؤدونها حتى يدفعوا بهذا الاداء الآلى عن انفسهم تهمة الكفر ــ وصلاتهم رياء لا حقيقة ــ فهم فى صلاتهم لا يخشون ، ولا يدرون ما يقولون ، بل هم فى صلاتهم لا لاهون ساهون ، وعما يراد بهم من الخـير معرضون ــ والمظهـر النفسى أنهم لا يذكرون الله الا احيانا نادرة ٠٠٠ وذلك حين تلم بهم الاحداث ، أو تكربهم الكروب ، فاذا انجلى هذا الذى نزل ، عادوا الى ما كانوا فيه من غفلة عن اللـه ، وذهـول عن ذكـره جـل عـلاه ٠

والمنافقـون مترددون مضطربون ، يحيـون حيـاة قلقـة مضطربة ، لا تقوم على مبدأ ، ولا تستقيم على طريق ، محيرين بين الايمان والكفر ، فلا هم مع المؤمنين ظاهـرا وباطنـا ، ولا مع الكافرين ظاهـرا وباطنـا ، (لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) بـل ظواهرهم مع المؤمنين ، وبواطنهم مع الكافرين ٠٠٠ ومنهم من يعتريه الشك فتارة يميل الى هؤلاء ــ وذلك من ضعف الايمان ، وضعف النفس ، ومن الضلال عن الحق ــ ومن كتب الله عليه فى علمه الازلى الضلال ، فلن تجد سبيلا لهدايته ٠

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أوليـاء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا » (١٤٤) ٠

« ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النـار ولن تجد لهـم نصيرا » (١٤٥) ٠

«الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما »(١٤٦)

« ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما » (١٤٧) ٠

المعنـى : هذا تحذير من الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين ألا يتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، وذلك بمصاحبتهم ، ومصادقتهم ، ومناصحتهم ، وأسرار المودة اليهم ، وافشاء أحوال المؤمنين الباطنة اليهم ـ وهذا بعد أن كشف الله سبحانه وتعالى للمؤمنين هذه الوجوه المنكرة للكافرين والمنافقين ، وأطلعهم على هذا المصير المشئوم الذى هـم صائرون اليـه ، من ذل وهوان فى الدنيـا ، وعذاب ونكال فى الآخرة ٠

كما قال تعالى : (لا لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفســه) (٢٨ : آل عمران) ، أى يحذركم عقوبته فى ارتكابكم نهيـه ـ ولهذا قال (أتريدون أن تجعلوا الله عليكم سـلطانا مبينا) أى حجـة بالغـة عليكم فى عقوبته اياكم ، وحجة بالغة عليكم بأنكم منافقون ؟

ثم أخبر تعالى (إن المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) أى فى أحط طبقات جهنم ، وفى أسفل دركاتها ـ فالنار درجات كما أن الجنـة درجات ـ (ولن تجد لهم نصيرا) أى لا أحد ينصرهم ولا أحد يعينهم ، ولا أحد ينقذهم مما هم فيه من عذاب ، ويخرجهم

من هذا الذل والهوان ــ واستثنى اللـــه من هؤلاء المنافقين ، من بقى فى كيانه بقية من خير ، يستطيع بها أن يفتح لنفسه طاقــة من نور يهتدى بها الى طريق اللـــه ، فيرجع اليـــه ، ويؤمن به ، ويصلح ما افسده ، ويلوذ بالله بالدخـــول فى دينــه ، ويخلص لله لا يريد بطاعته غير وجهه ، ولا يرجع الى ما كان فيه ــ فان فعل يعد من المؤمنين ، وكان له ما للمؤمنين من الاجر العظيم ، والنعيم المقيم .

وفى نهاية التحذير والتبشير ، والعقاب والثواب ــ يخبر تعالى غناه عما سواه ــ وأنه انما يعذب العباد بذنوبهم فيقول تعالى (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) ــ نعم ان عذابه لجزاء على الجحود والكفران ــ لا شـــهوة للتعذيب ، ولا رغبة فى التنكيل ، تعالى الله عن الشهوات والرغبات ــ فمتى اتقيتم بالشكر والايمان ، فهناك النعيم والغفران ، هناك رحمة الله الواســعة التى لا تضيق بالواردين ، وهناك فضل الله الشامل الذى لا يرد التائبين .

(وكان الله شـــاكرا عليما) وهـــو الخالق الرازق ، المنعم المتفضل ، ولكنه يشكر لعبده الصالح عمله الطيب ، فمن شـــكر شكر الله له ــ وشكر الله هو رضاه عن العمل الصالح الذى يقدمه له عبده، فيقبله منه، ويحسن له مثوبته، ومن آمن قلبه به علمه وجزاه عليه أوفر الجزاء .

جـــزء « لا يحب اللـــه الجهر بالسوء من القول الا من ظلم »

« لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما » (١٤٨) .

« ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا » (١٤٩) .

المعنى : ينهى الله عباده عن الجهر بالسوء من القول الا من وقع عليه ظلم ، فيباح له فى هذه الحالة أن يشكو ظلمه ، ويذكر ما فيه من سوء ، ويدعو عليه ، فالمظلوم مقهور ومغلوب على أمره ، فاذا رأى أن الدعاء على ظالمه ، وكشف مساوئه للناس مما يعينه عليه — ويأخذ له بحقه — فذلك له — ولا حرج عليه فيه — فقد أذن الله للمظلوم أن ينتصف من ظالمه بما يقدر عليه فى حدود العدل والاحسان ، والله سبحانه وتعالى يقول (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) (٤١ : الشورى) .. والله سبحانه وتعالى سميع بشكوى المظلوم وسينتصر له ، وعليم بظلم الظالم وسينتقم منه — ويخبر الله عباده أنهم اذا أظهروا الخير ، أو أسروه ، أو صفحوا عن من أساء اليهم وسامحوه — فسيجزيهم أحسن الجزاء على ما فعلوه ، ويثيبهم أعظم الثواب لتخلقهم بأخلاقه بما صنعوه ، من صفحهم بعد اساءتهم ، وعفوهم مع قدرتهم .. لان الله سبحانه وتعالى مع قدرته على أخذ المسيئين باساءتهم ... يعفو ، ويحلم ، ويغفر ، عظيم العفو مع كمال القدرة .

« ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا » (١٥٠) .

« أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا » (١٥١) .

« والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما » (١٥٢) .

المعنـى : الامر هنـا : انما هو حق أو باطل ـ وايمان أو كفر ـ ولا ثالث بينهما ... فالايمان كل لا يتجزأ والكفر ببعض رسل الله هو كُفر برسل الله جميعا ، والكفر برسل الله هو كفر بالله ... واذن فان ايمان هؤلاء الذين يؤمنون بالله مع كفرهم برسله أو ببعض رسله ، هو ايمان غير مقبول ، لانـه قائـم على الشك فى الله ـ اذ لو خلا من هذا الشك ، لانسحب ايمانهم بالله الى ايمانهم برسل الله ، وكتب الله ، وملائكة اللـه ، وبالبعث والجزاء ، والجنة والنـار ، وكل ما أخبر بـه الرسل من غيبيات ولهـذا يتوعد الله تبـارك وتعـالى الكافرين باللـه وبرسـله من اليهود والنصارى ، حيث فرقوا بين الله ورسله فى الايمان ، فآمنوا ببعض الانبيـاء وكفروا ببعض لمجرد الهوى ، والعصبية ، وما ألفوا عليه آباءهم ... فاليهـود عليهم لعائن اللـه آمنـوا بالانبياء الا عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ـ والنصارى آمنوا بالانبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد صلى الله عليه وسلم ـ وهؤلاء وصفهم الله بأنهم هم الكافرون حقا ، أى كفرهم محقق لا محالة ، لانهم ممعنون فى الكفر البين بما فرقوا بين الله ورسله ، وبما آمنوا بمن أحبوا من الرسل ، وكفروا بمن كرهوا منهم ، وأولئك أعد الله لهم عذابا مهينـا ، كما اسـتهانوا بمن كفروا به ـ أما الذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد

منهم ، ويعنى بذلك أمة محمد عليه الصلاة والسلام لانهم يؤمنون بكل كتاب أنزله الله، وبكل نبي بعثه الله، كما قال تعالى فى آخر سورة البقرة (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) (٢٨٥ : البقرة) ٠٠٠ فقد أعد الله لهم الجزاء الجزيل ، والثواب الجليل ، والعطاء الجميل فقال (أولئك سوف يؤتيهم أجورهم) على ما آمنوا بالله ورسله (وكان الله غفورا رحيما) اى غفورا لاوليائه ، ورحيما بأهل طاعتـه ٠

« يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا » (١٥٣) ٠

« ورفعنا فوقهم الطـور بميثاقهم وقلنـا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا » (١٥٤) ٠

المعنـى : يسألك ـ أيها الرسول ـ أهل الكتاب من اليهود على سبيل التعنت والعناد ، ولكفر والالحاد ، أن تقيم دليلا على صدق نبوتك ، فتأتيهم بكتاب خاص ، ينـزل عليهم من السماء بصدق رسالتك ويدعوهم الى الايمـان بك وطاعتك ٠٠٠ فـان استكثرت ما سألوا فلا تعجب ـ فقد تعنت أسلافهم ، وأبعدوا فى الوقاحة والتحدى ، فسألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا ـ أرنا الله عيانا ـ فعاقبهم الله سبحانه وتعالى على هذا العناد الفاجر ٠٠٠

فتجلى لهم فى جلال جبروته ونقمتـه ٠٠٠ (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) ـ وتجاوزهـم لحـدود العقل والايمان ، لهذا المطلب السخيف ، الذى يحمل فوق استحالة قدرتهم عليه طابع التبجح الذى لا يصدر عن ايمان ٠٠٠ ولقد عفا الله عنهم بعد هذه الفعلة المنكرة ، وردهم الى الحياة ـ فماذا كان منهم من شكر ومن توبة ومن ايمان ؟ ٠٠٠ لقد ارتكبوا جرما أشد وأفظع ٠٠٠ وهو أنهم اتخذوا العجل الها لهم من دون خالقهم ٠٠٠ وذلك بعد ما عاينوا الادلة التى أظهرها موسى عليه السلام لفرعون وقومه ، وبعد ما رأوا من الايات الباهرة ، والادلة الظاهرة، على يد موسى عليه السلام فى بلاد مصر ، وما كان من اهلاك عدو الله فرعون وقومه ٠٠٠ ولقد وسعهم عفو اللـه رغم ذلك ٠٠٠ ولكن اليهود هـم اليهود ، لا يفلح معهم الا القهر والخوف (وآتينا موسى سلطانا مبينا) ٠ أيد الله موسى بالحجة الواضحة ، والكلمة النافـذة ، والتسلط البين الظاهر عليهم ، حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبـة فأطاعـوه ٠

فالآن فقط وقد وهب الله موسى عليه السلام ذلك السلطان ورفع فوقهم جبل الطور ، يرونه فوق رؤوسهم ، ويخافون ثقله أن يطحنهم ٠٠٠ الان فقط قبلوا شريعة التوراه ، وأعطوا الميثاق على الطاعة ، وأن يدخلوا باب المدينة التى أمروا بدخولها خاضعين لله ، وأن يحترموا سبت بنى اسرائيل ، فلا يتجاوزوا ما أمرهم بالتزامه من العبادة فى هذا اليوم ، و لايعتدوا فيـه بصيد ولا

بغيره ، وأعطوا ميثاقا غليظا على ذلك ، وعهدا مؤكدا باحترام تنفيذه كذلك ٠

« فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا » (١٥٥) ٠

« وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما » (١٥٦) ٠

« وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا » (١٥٧) ٠

« بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما » (١٥٨) ٠

« وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا » (١٥٩) ٠

المعنى : فى هذه الآيات الكريمة يحصى الله سبحانه وتعالى على اليهود ما ارتكبوا من خطايا ، وما اقترفوا من آثام مما أوجب غضب الله عليهم ، ولعنته اياهم ، وطردهم من رحمته ، وابعادهم عن هداه ٠ فقد نقضوا مواثيق الله ، وكفروا بآياته ، وقتلوا رسله ظلما وعدوانا بغير حق ٠٠٠ فما رسل الله الا رحمة من رحمته ، وفضل من فضله، ونعمة من نعمه فالذى يدفع الرحمة، ويأبى الفضل ، ويكفر بالنعمة ، هو انسان مبتلى فى عقله متهم فى انسانيته ـ وأصروا على الضلال بقولهم قلوبنا غلف أى محجوبة عن قبول ما تدعى اليه ، ومغلفة ومغلقة لا ينفذ اليها شىء من الحق

والخير ـ وليسوا صادقين فى قولهم ـ بل طمس الله على قلوبهم بسبب كفرهم ، وختم عليها بختمه المحكم ، فلا يخرج ما فيها من خبث ، ولا يدخل اليها ما فى الحياة من حق وخير ـ (فلا يؤمنون الا قليلا) ـ أى تمرنت قلوبهم على الكفر والطغيان ، وقلة الايمان، اللهم الا قليلا من تلك القلوبالتى لم تتحجر فيغلب عليها الضلال .

ومما أحصاه اللهمن شناعات اليهود ، كفرهم بالمسيح عليه السلام وتكذيبهم له وقولهم فيه وفى أمه الطاهرة تلك الاقوال الشنيعة ، التى هى محض بهتان وزور ، فقد رموا مريم البتول بالفحش ، واتهموها بالزنا ، ونسبوا ابنها الى أنه ابن سفاح ، عليهم لعائن الله الى يوم القيامة .

ومما أحصاه الله سبحانه وتعالى عليهم من المآثم ، هذه الفعلة الشنيعة ، التى استوجبت غضب الله عليهم بسبب قولهم مستخفين، انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، والحق المستيقن أنهم ما قتلوه كما زعموا ، وما صلبوه كما ادعوا ... ولكن شبه اليهم ، فظنوا أنهم قتلوه وصلبوه ، وانما قتلوا وصلبوا من يشبهه ـ وقد اختلفوا من بعد ذلك فى أن المقتول عيسى أم غيره ، وأنهم جميعا لفى شك من أمره ـ والواقع أنهم يقولون مالا علم لهم به الا عن طريق الظن ، وما قتلوا عيسى قطعا .

بل رفع الله عيسى اليه ، وأنقذه من أعدائه ، ولم يصلبوه ، ولم يقتلوه ... والله سبحانه وتعالى عزيز فى ملكه أى غالب لا

يقهر - حكيم فى صنعه أى له الحكمة البالغة والحجة الدامغة فى جميع ما يقدره ويقضيه من الأمور التى يخلقها فهو صاحب السلطان العظيم ، والامر القويم - (وان من أهل الكتاب الا ليؤمن به قبل موته) ... اختلف أهل التأويل فى معنى هذه الآية الكريمة ... فقال بعضهم ... لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام الا آمن به قبل موته (أى قبل موت عيسى عيه السلام) فهو عليه السلام سينزل الى الدنيا قبل يوم القيامة كما دلت على ذلك الاحاديث المتواترة - فيقتل مسيخ الضلال (الدجال) ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ولا يقبل الا الاسلام ، فتصير الملل كلها واحدة - وهى ملة الاسلام الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام .

وقال البعض الآخر - ما من أحد من أهل الكتاب الا ليدرك حقيقة عيسى ويؤمن به قبل موته (أى موت أهل الكتاب أنفسهم) وأنه عبد الله ورسوله ، ويؤمن به ايمانا لا ينفعه لفوات أوانه - ويوم القيامة يشهد عليهم عيسى عليه السلام بأنه بلغ رسالة ربه وأنه عبد الله ورسوله .

« فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا » (١٦٠) .

« وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما » (١٦١) .

« لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما» (١٦٢)

المعنــى : بسبب ما وقع من اليهود من ظلم ، عاقبهم الله ، فحرم عليهم ألوانا من الطيبات كانت حلالا لهم ــ فمن طيبات الطعام التى حرمها الله على اليهود ما جاء فى قوله تعالى (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون) ،١٤٦ : الانعام) ٠٠٠٠٠ وهناك سبب آخر لتلك العقوبة التى أخذوا بها ــ وهى أنهم صدوا عن سبيل الله ، وأعرضوا عنه ، كما صدوا غيرهم عن سبيل الله وأضلوهم عنه ٠

وبسبب تعاملهم بالربا ــ وقد حرمه الله عليهم ، ونهاهم عنه ، وقد بلغ من جرآتهم على الله آن حرفوا التوراة ، وأقاموا نصوصها على الذى يرضيهم ٠٠٠ فجعلوا الربا محرما اذا كان بين يهودى ويهودى ، ومباحا اذا كان بين يهودى وغير يهودى ٠٠٠٠ وبسبب أكلهم أموال الناس بالباطل وهو أعم من الربا ، فهو كل مال جاء من طريق غير مشروع ، كالسلب ، والسرقة ، والقمار ، والغش ، والخداع ، والرشوة ، ونحو ذلك ــ وقد أعد الله لمن كفر منهم عذابا مؤلما لكن المتثبتون فى العلم من اليهود ، هم والمؤمنون من أمتك أيها النبى سواء ، اذ يلتقون جميعا على الحق ، يصدقون بما أوحي اليك ، وبما أوحى الى الرسل من قبلك ٠٠٠

والذين يؤدون الصلاة حق الاداء ، ويعطون الزكاة ، ويصدقون بالله ، وبالبعث ، وبالحساب ، أولئك سيجزيهم الله على ايمانهم وطاعتهم أحسن الجزاء .

ربع « انا أوحينا اليك »

« انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا » (١٦٣) .

« ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما » (١٦٤) .

« رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما » (١٦٥) .

المعنى : قال اليهود عليهم لعائن الله الى يوم القيامة - يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى عليه السلام - فأنزل الله سبحانه وتعالى على رسوله عليه السلام انا أوحينا اليك - أيها النبى - القرآن والشريعة كما أوحينا من قبلك الى نوح والنبيين من بعده ، وكما أوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط (وهم أبناء يعقوب عليه السلام وعدتهم اثنى عشر ومنهم يوسف عليه السلام وهم أنبياء الله من ذرية يعقوب) وكما أوحينا الى عيسى وأيوب ويونس

وهارون وسليمان ، وكما أوحينا الى داود فانزلنا عليه كتاب الزبور ...

وكذلك أرسلنا رسلا كثيرين ، ذكرنا لك أنباءهم من قبل ، ورسلا آخرين لم نذكر لك قصصهم ... وكانت طريقة الوحى الى موسى عليه السلام أن كلمه الله تكليما من وراء حجاب بلا واسطة .

وهؤلاء الرسل جميعا ، ما قص الله عليك من أمرهم وما لم يقصص - جاءوا لمهمة واحدة - جاءوا مبشرين ومنذرين ، يبشرون الناس بمغفرة الله ورضوانه اذا هم استجابوا لرسله وآمنوا به - وينذرونهم بسخط الله وعذابه اذا كذبوا رسله وكفروا به - كل أولئك كى لا يكون للناس حجة ولا عذر عند الله يتعللون بهما بعد ارسال الرسل - فمن لطف الله سبحانه وتعالى ورحمته بعباد - لم يدعهم الى عقولهم ليتعرفوا اليه ، ويستقيموا على سبيله ، بل ساعد هذه العقول بذلك النور الهادى الذى حمله اليهم رسل الله لتكون رؤيتهم لآيات الله واضحة ، وخطواتهم الى دلائل الايمان مشرقة ... وهو سبحانه وتعالى عزيز ، يخضع لعزته كل موجود ، غالب لا سلطان لاحد معه ، قادر على كل شىء ، ومع هذه العزة المتمكنة الغالبة حكيم لا يفعل الا ما تقضى به حكمته .

« لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا » (١٦٦) .

« ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قـد ضلوا ضلالا بعيـدا » (١٦٧) ٠

« ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقـا » (١٦٨) ٠

« الا طريق جهنم خالدين فيهـا أبـدا وكان ذلك على الله يسيرا » (١٦٩) ٠

« يا أيها الناس قد جاءكم الرسـول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما فى السموات والارض وكان الله عليما حكيما » (١٧٠) ٠

المعنـى : فى هذه الآية الكريمة يرد الله سبحانه وتعالى على المكذبين برسوله الذين يتهمونه ـ كذبا وبهتانا ـ أنه يدعى على الله هذا الكتاب الذى يقول فيه انه من عند الله ـ وقد رد الله سبحانه وتعالى عليهم بتلك الشهادة القاطعة بأن هذا الكتاب هو من عند الله ، فهو كتاب الله ـ وقد شهد الله سبحانه أنه كتابه ، وأنه هو الذى أنزله بعلمه ٠٠٠ أى علمه الـذى أراد أن يطلع العباد عليه ، من البينات والهدى والفرقان ، ومـا يحبه اللـه ويرضاه ، وما يكرهه ويأباه ، وما فيـه من العلـم بالغيوب من الماضى والمستقبل ـ والملائكة يشهدون بذلك ـ أى يشهدون أن هذا الكتاب هو من عند الله ، وأنك الرسول المختار ، وشـهادة الملائكة قائمة على الحق ، لانهـم لا يعرفون الكذب ولا يتعاملون به ، وتغنيك أيها الرسول شهادة الله عن كل شهادة ٠

فالذين كفروا بعد هذه الشهادة ولم يصدقوك ، ولم يتبعوا الحق ، وسعوا فى صد الناس عن اتباعه ، والاقتداء به ، ومنعوا الناس عن الدخول فى دين الله ، وقد خرجوا عن الحق ، وضلوا عنه، وبعدوا منه بعدا شاسعا وكذلك الذين كفروا وظلوا على ما هم فيه من كفر وعناد ، وظلموا أنفسهم بالكفر ، وظلموا الرسول بجحد رسالته ، وظلموا الناس اذ كتموهم الحق ، هؤلاء لن يغفر الله لهم ما داموا على كفرهم ، ولن يهديهم طريق النجاة ، ولن يكون لهم فى رحمة الله نصيب ، لانه سبحانه وتعالى ما كان من شأنه أن يغفر لامثالهم ، وهم فى ضلالهم ، ولكن يسلك بهم طريق جهنم مخلدين فيها أبدا ــ وأمر ذلك هين يسير على الله ، فهو سبحانه لا يعجزه شىء ، ولا يقف لقدرته شىء ــ واخذ هؤلاء الجبابرة العتاة ، ليس بالامر الذى يقف دون قدرته جل علاه ·

وبعد أن بين الله سبحانه وتعالى المصير المشئوم الذى سيصير اليه أولئك الذين كفروا ، وظلموا ، وصدوا عن سبيل الله ، ووقفوا من الرسول هذا الموقف العنادى الآثم ··· جاءت دعوة الله للناس جميعا أن يلتقوا بهذا الرسول ، الذى جاءهم بالحق من ربهم ، والهدى والبيان الشافى من خالقهم ، وليؤمنوا به ··· فان آمنوا فقد كسبوا أنفسهم ، واختاروا لها الخير ، وان كفروا فقد خسروا أنفسهم وأوردوها موارد الهلاك ، ولن يضر كفرهم الا أنفسهم ، فالله سبحانه وتعالى غنى عن ايمان المؤمنين وكفر الكافرين ··· له ما فى السموات والارض ، ملكا وخلقا وتصرفا ــ وهو العليم بخلقه ، أى بمن يستحق منهم الهداية

فيهديه ، ومن يستحق الغواية فيغويه ، والحكيم فى صنعه وفى أقواله وأفعاله ، وفى شرعه وقدره ٠

« يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا » (١٧١) ٠

« لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا »(١٧٢)

« فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا » (١٧٣) ٠

المعنى : ينهى الله سبحانه وتعالى أهل الكتاب ، والمقصود بالكتاب هنا هو الانجيل ، وأهل الكتاب هم النصارى ، فقد بالغوا وجاوزوا الحد والاطراء فى عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التى أعطاه الله اياها ، فنقلوه من حيز النبوة الى أن اتخذوه الها من دون الله ، يعبدونه كما يعبدون الله ٠٠٠ فينهاهم الله عن ذلك ويأمرهم ألا يتجاوزوا الحق ، و لايغلوا فى دينهم ، ولا يفتروا على الله الكذب ، فينكروا رسالة عيسى عليه السلام ، أو يجعلوه الها مع الله ــ ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام ٠٠٠ أولا ٠٠٠ رسول الله ــ ورسول الله غير الله ٠٠٠ ثانيا ٠٠٠ كلمه الله ٠٠٠

وكلمة إلله غير الله ـ فكل شيء خلقه الله سبحانه وتعالى بكلمته (كن) فكان كما قال تعالى (انما قولنا لشيء اذا أردنا أن نقول له كن فيكون) (٤٠ : النحل) ... وثالثا ... روح من عند الله .... ونفخة منه .... كالنفخة التى كان منها آدم ، وكالروح التى كان منها الملائكة ـ ومن كان هذا شأنه فهو ليس الها ... لانه من صنعة الاه ـ فآمنوا بهذا الاله الصانع القادر ايمانا قائما على تنزيهه من أن يكون على صورة خلق من خلقه ـ وآمنوا برسله جميعا ايمانا صحيحا ـ ولا تدعو أن الآلهة ثلاثة كما زعمتم بهذه الكلمة الخاطئة ـ الاب والابن والروح القدس ـ وانصرفوا عن هذا الباطل يكن خيرا لكم ، وارجعوا الى القول لحق ، فالله واحد لا شريك له تنزه أن يكون له ولد لانه سبحانه وتعالى غنى عن العالمين ـ فكل ما فى السموات والارض خلقه وملكه وعبيده ، والملكية تنافى النبوة ـ فما حاجته سبحانه الى الولد اذا احتاج الناس الى الاولاد ؟ وكفى به وحده مديرا لملكه فليس بعد قدرته قدرة ، ولا مع سلطانه سلطان . ولن يترفع المسيح أن يكون عبدا لله ، ولن يتكبر عن ذلك الملائكة والمقربون ، فالكل عباد الله ، وخلق من خلق الله ، ولن يتعالى أى مخلوق من خلقه أن يدين له بالعبودية والولاء ، لا المسيح ولا غير المسيح ـ ومن يترفع عن عباده الله ، ويتأبى أن يكون عبدا له ـ فسيجمعهم اليه يوم القيامة ، ويفصل بينهم بحكمه العدل لا يجور فيه ولا يحيف ، ولن يفلت هؤلاء المتكبرين من عقابه .

فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم ثواب أعمالهم ،

ويزيدهم على ذلك من فضله واحسانه ، وسعة رحمته وامتنانه ، اكراما وانعاما ٠٠٠

وأما الذين أنفوا أن يعبدوه ، وترفعوا أن يشكروه ، فقد أعد الله لهم عذابا شديد الايلام ، لن يدفعه عنهم معين ، ولن يمنعهم منه نصير ٠

« يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا » (١٧٤) ٠

« فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما » (١٧٥) ٠

المعنى : هذه دعوة عامة من الله سبحانه وتعالى للناس جميعا ، أن يدعوا هذا الضلال الذى هم فيه ، وأن يلتفتوا الى هذا الرسول الكريم ، الذى هو برهان مبين ، وحجة مشرقة ، ولا يزيغ عنها الى ضال ، وقد جاءتهم الدلائل الواضحة على صدقه ، وأنزلنا اليهم على لسانه قرآنا بينا كالنور يضىء لهم الطريق ، ويهديهم الى النجاه فمن استجاب لهذه الدعوة الكريمة ، وأقبل على الله مؤمنا ، مخلصا له الايمان به وحده ، مصدقا به وبرسالاته ، متمسكا بدينه، متوكلا عليه فى جميع أموره — فهو فى رحمته وفضله ، وهو على نور وهدى من ربه ، لا يضل ولا يزيغ ٠٠٠ ومن كان هذا شأنه ، وتلك سبيله ، فالجنة مأواه ، والنعيم نزله ٠

« يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له

ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لهـا ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم » (١٧٦) ٠

المعنـى : يسألونك ــ ايها النبى ــ عن ميراث من مات ولا ولد له ولا والد فقل : ان حكم الله فى ميرات هؤلاء ٠٠٠٠٠٠

ان كان للمتوفى أخت فلها نصف تركته ، وان كان للمتوفاه أخ ، فله تركتها كلها ــ بعد أصحاب الفروض ــ كالزوج ان كان لها زوج ــ (وفرضه النصف) وان كان الوارث أختين ، فلهما ثلثا التركة ، وان تعدد الاخـوة والاخـوات ، فللذكر مثل حظ الأنثيين ــ حسب القاعدة العامة للميراث ــ و لايخفى أن الاخـوة والاخوات الاشقاء يحجبون الاخـوة والاخـوات لاب ، كما هـو معلوم ــ هذا البيان الذى بينه الله لكم فى هـذه الآية الكريمة ، وفى غيرها من آيات القرآن الكريم ، هو ارشاد وهداية لكم من الضلال ، حين ترجعون الى ما تقضون به الى غير بيان من الله ٠٠٠ والله سبحانه وتعالى عالم علما كاملا بكل شيء ، وان ما يقضى به هو الحق ، وما بينه هو البيان الذى ليس وراءه بيان ــ فالتزموه ، واستقيموا عليه ، ليكون فى ذلك خيركم ورشدكم وصلاح أمركم ٠

وبهذا الختام الجميل ، أضرع الى اللـه العلى القدير ، أن ينفعنا بكتابه الكريم ، ويرحمنا بالتـزام صراطـه المستقيم ، ويجعلنا من عباده المتقين ، ويدخلنا برحمته فى عباده الصالحين ،

انه نعم السميع المجيب ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، والى لقاء ان شاء الله قريب ، مع مختاراتى التفسيرية لكلام الله العجيب ٠٠٠

« ملاحظات هامـة » :

أولا : الرجا مراجعة السورة فى المصحف مشكلة ، حيث لم يتم تشكيل الآيات القرآنية ٠

ثانيا : الثمن المحدد للكتاب ثمن رمزى يقل عن التكلفة الاصلية ليتيسر الحصول على الكتاب لكل محب للآيات القرآنية وسيودع جميع المتحصل ببنك القاهرة فـى حسـاب الجمعية ٠

ثالثا : من ناحية العمل والمجهود الذى قام به رئيس الجمعية فهو كعادته لا يسأل عليه أجرا ، انما آجره على الله ، راغبا به مرضاته جـل عـلاه ، راجيـا به مزيدا من توفيقه وهداه، طامعا فى النظر الى وجهه الكريم يوم أن يلقاه٠

تـم بحمـد اللـه ٠

طبع بمطبعة التقدم
عبد القـادر التـونى
تليفون : ٨٠٦٠٥٤
٢١ شارع سيزوستريس ـ اسكندرية

بيـان الخطـأ والصواب فى الآيات القرآنيـة

صفحة	آيـة	خطـأ	صـواب
٧	٣	وذلك	ذلك
١١	١١	الانثتين	الانثيين
١٧	٢١	أقضى	أفضى
١٩	٢٣	أرضعتكم	أرضعنكم
١٩	٢٣	جحوركم	حجوركم
٢٤	٢٧	يميلوا	أن تميلوا
٣٦	٤٣	غفوا	عفوا
٤٢	٥٤	من آل ابراهيم	آل ابراهيم
٤٥	٥٩	الى الرسول	الى اللـه والرسول
٤٩	٦٥	يحكمون	يحكموك
٥٦	٧٨	تصيبهم	تصبهم
٦٤	٩٠	فان اعتزلوكم والقوا	فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا
٨١	١١٨	لعنة	لعنـه
٩٣	١٣٥	وان تلوتا	وان تلووا



الثمن الرمزى للكتاب ٢٥ قر